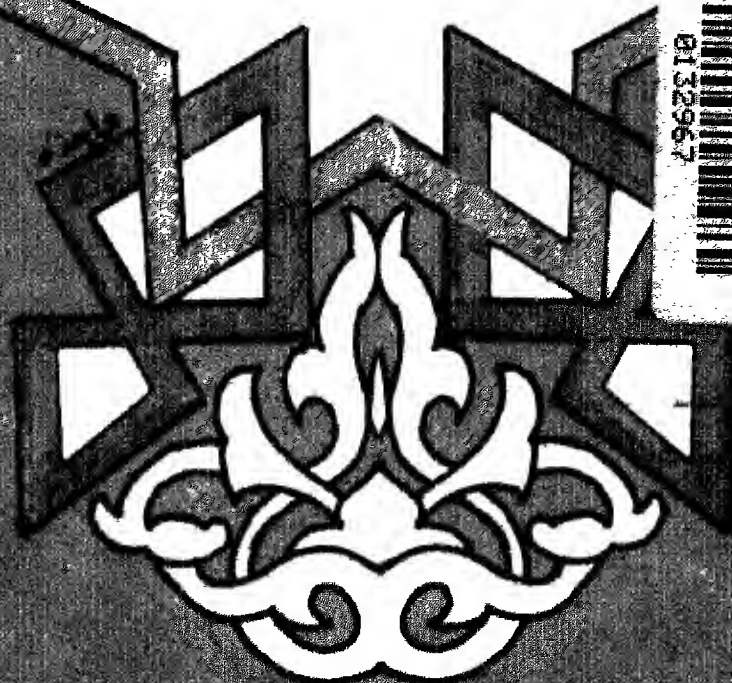


دراسات إسلامية

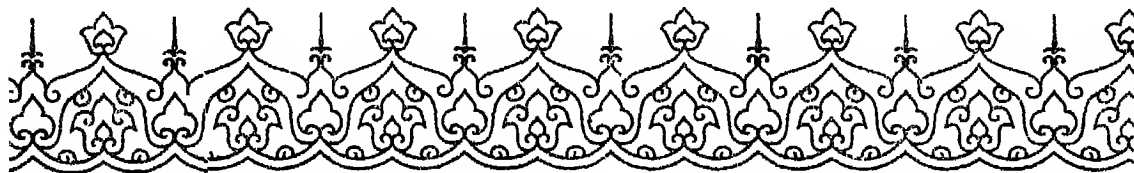
الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ

بالحكمة والموعظة الحسنة

مستشار
إسماعيل حامد



دراسات إسلامية



الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بالحكمة والموعظة الحسنة

تأليف

المستشار

إسماعيل حامد خليل

نايب رئيس هيئة قضايا الدولة « سابقاً »



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

الاهـداء

الى السيدة الجليلة

أمى الحبيبة

الى من علمتنى - الدين - والحب - والعطاء
الى من بذلت كل ما تملك فى اعدادى لكى أكون
الى من أنارت لى الطريق برأيها
الى من كانت سببا فى اخراج هذا الكتاب

وفاء وعرفانا بفضلها

اسماعيل حامد

« اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار »
« رواه أحمد »

مقدمة

تجتاح الساحة العربية والاسلامية موجة من الارهاب والعنف ترفع راية الاسلام * ناسية أو متناسية أن الاسلام هو دين السلام ويكفل الأمن والأمان لكل من يستظل بظله ويعيش فى كنفه مسلماً كان أو غير مسلم * وأنه اذا كان قد شرع الحرب والقتال فانها لم تكن فى يوم من الأيام حرب عدوان بل حرب دفاع وتأمين لبلاد الاسلام والمسلمين ، وقد وضع قاعدة عامة تسرى فى كل زمان ومكان وهى تقديم السلم على الحرب فقال تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (الأنفال / ٦١) ، كما لم يجز أن يتناحر المسلمون ويقتتلوا فيما بينهم فقال تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقاتلتا فاصلحا بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلتا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » * (الحجرات / ٩) *

واذا كان الله قد أمر المسلمين بالاعداد للحرب والاستعداد لها ، فان القصد من ذلك هو اخافة العدو وارهابه حتى لا يفكر فى محاربة المسلمين وبذلك يكون الغرض من الاعداد للحرب هو منع الحرب وهو ما أشار اليه قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (الأنفال ٦٠) *

وقد أكرم الله الإنسان بوصفه إنساناً • « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر » (الاسراء ٧٠ وحرم الاعتداء عليه • « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » (المائدة / ٣٢) وقال النبى ﷺ :
• • « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (رواه مسلم) • وإذا كان الاسلام قد جعل للإنسان حرمة فان من يعظم حرمات الله ولا يعتدى عليها فان ذلك دليل الايمان بالله والتقوى •

كما جعل الله الأمن والأمان من نعم الله على الإنسان فقال تعالى : « أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم » • • (العنكبوت / ٦٧) •

وقال تعالى لرسوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » (آل عمران / ١٥٩) وعن ابن مسعود (ر) قال كانى أنظر الى رسول الله ﷺ وهو يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (متفق عليه) وكان صلى الله عليه وسلم يقول :
« ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه » (مسلم) •

« ولتوضيح ما ذكر يضاف : ان من جليل نعم الله تعالى على عباده : فى هذا الوجود : نعمة الأمن : فى ظلاله يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم • • وفى رحابه : ينصرفون الى شئونهم ومصالحهم : فى غير خوف ولا ذعر • • وفى اشتغال الأمن : تؤدى الأعمال ، وتتحقق الآمال ، ويسود النظام ، وتسعد الأمة ، وتحلو الحياة ، ويهنأ العيش ، قال الله تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْسُوا إِلَىٰ عَمَلِهِمْ يَتَذَكَّرْ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَبْرُونَ ﴿٨٢﴾
(الأنعام : ٨٢)

فالأمن ضروري للإنسان ، ضرورة الطعام والشراب
والعافية للأبدان ، ولعظم شأن الأمن في اسعاد العباد : من الله
تعالى به وجعله عديلا للطعام : الذي تدفع به ثورة الجوع
فقال تعالى : « الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »
(قريش : ٤) .

فالطعام وان كان غذاء للإنسان ، فالأمن حصن القلوب
والأرواح ، روى الترمذي عن أبي عبد الله بن محسن
الخطمي رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من أصبح
منكم آمنا في سربه ، معافى في بدنه ، عنده قوت يومه ،
فكأنما حيّزت له الدنيا بحذافيرها » .. وقد جعل الله تعالى
عقوبة من ينشرون الفزع بين الناس ، ويهددون أمنهم ، أو
ينهبون أموالهم ، أو يسفكون دماءهم ، من أقسى العقوبات :
التي تنخلع لها القلوب ، وتطير من هولها الأفئدة ، فقال جل
شأنه : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم
من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم
في الآخرة عذاب عظيم (المائدة : ٣٣) ..

« هذه الاضافة وردت بتقرير مجمع البحوث الاسلامية
بالأزهر الشريف الموضوع عن الكتاب ص ٢ ، ٣ وهو مرفق
بنهاية الكتاب »

وفي ضوء ما تقدم من تعاليم ومبادئ وما هو واقع على
أرض الساحة العربية والاسلامية من أعمال ترفع راية
الاسلام والدعوة اليه سنبيين أن الاسلام يشجب العنف وأن
سبيل الدعوة الى الله يكون بالحكمة والموعظة الحسنة .

المستشار

اسماعيل حامد خليل

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة « سابقا »

الفصل الأول

الدعوة الى الله

الدعوة الى الله في الاسلام * تعريفها وموضوعها وحكمها :

ان الدعوة الى الله تبارك وتعالى : هي حث الناس على الخير والهدى ، والرشد والاستقامة ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ليفوزوا بعز الدنيا ، وسعادة الآخرة ..

وموضوعها : هو الاسلام : الذي أوحى الله تعالى به : الى خاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد ﷺ : في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ..

والدعوة الى الله تعالى : أشرف غاية ، وأنبى مقصد ، وأقدم سبيل ، قال جل شأنه :

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

(الأنعام : ١٥٣)

فهى رسالة الأنبياء والمرسلين ، وشيعة الدعاة المخلصين ، وشعار الهداة المرشدين ، وحلية العلماء العاملين ، والوعاظ النابهين ..

(النور : ٤٣)

وهي دعوة الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ،
وللايمان بالقدر خيره وشره ، واليوم الآخر ، والبعث
والحساب والجزاء .

دعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له ، ودعوه الى السلام
والعدل والنهي عن الظلم .

والدعوة الى الله دعوة الى محاربة الشرك والالحاد من
على الأرض . فالشرك بالله كفر به وظلم عظيم لأنه جحود
ونكران لعظمة الخالق وقدرته وقيوميته .

وبالشرك يظلم الانسان نفسه لأنه يمتن عقله ومداركه
اذ أن آيات الكون كلها تشير بجلاء ووضوح الى أن الخالق هو
الله وحده لا شريك له والى ذلك يشير قوله تعالى :

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾

(الأنبياء : ١٩ - ٢٢)

وقوله :

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَّاهُ
كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٣﴾

(المؤمنون : ٤١)

فالكفر بالله أو اشراك غيره معه فى ربوبيته فيه امتهان
الانسان لعقله ومداركه وهبوط الى مدارك الحيوانية وذلك
مصادقا لقوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْكُنُونَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْجُورَةٌ ۝١٢

(محمد : ١٢)

والدعوة الى الله هي دعوة للايمان بالله سبحانه وتعالى
لأن الايمان بالله يمنح الانسان أعلى مراتب المعرفة واليدين .

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨

(فاطر : ٢٨)

ويشيع في النفس الطمانينة ويقضى على القلق والحيرة
والارتباب .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨

(الرعد : ٢٨)

في حين أن غير المؤمن نفسه ضائعة حائرة .

مُخَفَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَصَافَتُهُ مِنَ السَّمَاءِ فَتُخَطَّمُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ السَّيْحُ فِي مَكَانٍ
بَيعِقٍ ۝٣١

(الحج : ٣١)

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ
ءَايَاتِنَا فَانْسَحَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ۝٣١ وَوَشَّيْنَا
لِرَفَعَةَ يَهَاوُكَةَ وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاسْتَعْتَبَ وَهِيَ كَتَمَتْ لَهَا الْكَلْبَ
إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يُلَهِّثُ أَوْ تَرُكُهُ يُلَهِّثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْفُجُورِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣٢

(الاعراف : ١٧٥ ، ١٧٦)

٢ - دعوة جميع الرسل واحدة :

يقول الله تعالى :

* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾

(الشورى : ١٣)

وما من رسول الا دعا قومه الى عبادة الله وحده لا شريك
له قائلًا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره بالاضافة الى
معالجة ما قد يكون من انحراف فى المجتمع ومن ذلك قوله
تعالى :

وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تُتْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ قَوْمِينَ ﴿٨٥﴾
(الاعراف : ٨٥)

وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

(الاعراف : ٨٠ ، ٨١)

٣ - طبيعة الرسالة الاسلامية :

الاسلام رسالة عالمية غير محدودة بمكان أو زمان يشير
الى ذلك قوله تعالى :

الْكَافَّةَ لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

(سبّا : ۲۸)

وكما كلف الرسول بتبليغ الاسلام كلف المسلمون بذلك
الأمس المستفاد من قوله تعالى :

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي

أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُخِّرْنَا لِلَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٠٨﴾

(یوسف : ۸۰)

والأمة الإسلامية : مكلفة بتبليغ الاسلام ، باعتباره الدين الخاتم والقيم ، وقد أشار الى ذلك قوله تعالى :

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ

أَوْ قَوْلَ الْكَافِرِ إِنَّا مِنَ اللَّهِ لَبَعِيدٌ ۖ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْوَلَدُ ابْنًا بَيْنَهُمَا وَنَحْنُ بُرْهَانٌ ۚ

(آل عمران : ۱۹)

وقوله جل شأنه :

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلْيُقْبَلْ

مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِ ۖ (٨٥)

(آل عمران : ۸۵)

يضاف ، الى ما ذكر : ان وظيفه الأئمة الاسلامية : التي أخرجها الله من أجلها : هي الدعوة الى المبادئ السامية ، والقيم الدينية ، والمثل العليا ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع التمسك بهذه المبادئ ، وتلك القيم ، قال الله تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ أُولَٰئِكَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾
(آل عمران : ١١٠)

وقال جل شأنه :

وَلَنَكُونَنَّكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾

(آل عمران : ١٠٤) .

ان الله تبارك وتعالى : اختار للانسانية كلها : تعاليم
راشده ، وشرائع عادلة ، ثم وكل الى العرب : أن يحملوا هذه
التعاليم والشرائع : التي تضمنتها رسالة الاسلام العالمية ،
ليعلموا بها ، وليعلموها غيرهم من الشعوب الأخرى : على
اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم . .

[هذه الاضافة وردت بتقرير مجمع البحوث الاسلامية
السابق الاشارة اليه ص ٤] •

واستمرارية التكليف بالتبليغ تستفاد من قوله تعالى :

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أُولَٰئِكَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبَتْ عَلَىٰ آعْقَابِهِمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ
يُضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

(آل عمران : ١٤٤)

وقوله :

وَلَنَكُونَنَّكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾

(آل عمران : ١٠٤)

وقول الرسول ﷺ في حجة الوداع : فليبلغ الحاضر
الغائب [الصفحة الدينية من جريدة الأهرام يوم
١٥/٦/١٩٩١] .

وبسبب تكليف الرسول ﷺ بإبلاغ الاسلام كان الرسول
شاهدا على أمته :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَلِيلًا إِلَى اللَّهِ بِذَنبِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾
(الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦)

وكانت الأمة الاسلامية شاهدة على غيرها من الأمم .

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِّكُونَ مُبْدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ
مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْكَيْدَةُ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَكَدَى
اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾
(البقرة : ١٤٣)

والدعوة الى الاسلام لا تقتصر على نشر الاسلام بين غير
المسلمين بل تشمل نشر حقائق الاسلام ومبادئه ومحاربة
البدع بين المسلمين لترسيخ المعاني الصحيحة والقيم التي
يدعو اليها الاسلام في نفوس المسلمين ويعتبر ذلك من فروض
الكفاية التي ان قام بها البعض سقط الواجب عن الكل والا
أثم الجميع .

٤ - مضمون رسالة الاسلام :

الاسلام دعوة الى مكارم الأخلاق . وقد قال النبي ﷺ :
« بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » من تفسير القرطبي ٣٤٧/٧

وقد حددت بعض الآيات الاطار العام للدعوة الاسلامية ويبين ذلك من قوله تعالى :

* قُلْ تَعَالَوْا
 أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
 وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ أَمَلَتْكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَأُولَاكُمْ هُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
 الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ
 هُوَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ كَانَ يُبْتَلَىٰ لَآكُلُفَ
 فَنَسَا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
 أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي
 مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ
 وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

(الأنعام : ١٥١ - ١٥٣)

الفصل الثانى

سبيل الدعوة الى الله

لقد جاء الاسلام مقررا مبدأ حرية العقيدة فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولم يتخذ الاسلام سبيلا لاجبار الناس أو اكراههم على الايمان بل جعل سبيل الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

أولا مبدأ حرية العقيدة :

جاء الاسلام مقررا مبدأ حرية العقيدة وانه لا اكراه فى الدين ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وأنه قد جاءهم بالحق الواضح من ربهم الذى فيه خيرهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وأنه ﷺ ليس وكيلا عليهم فقال تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ رَبِّكُمْ كُفْرٌ فَآمَنُوا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَإِنَّا عَلَيْهِمْ وَكِيلٌ ﴿١٠٨﴾

(يونس : ١٠٨)

ويضاف الى ما تقدم : أن الاسلام : دين المحبة والبرهان ، دين يرى أن صحة العقيدة ، انما تكون وليدة تفكير حر ، وثمره اقتناع تام ، دين لم يقم بحد السيف كما يزعم أعداؤه ، فالاسلام : يميل الى المسالمة ، وأنه عدو للحرب الا اذا اقتضتها الظروف القاهرة : كالمعدوان ، فان جنح

العدو للسلم : وجب وقف القتال ، والجنوح للسلم ما لم يكن ذلك خدعة منه ، قال الله تعالى :

* وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّكْرِ فَاجْعَلْهَا
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ
فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

(الأنفال : ٦١ ، ٦٢)

ان الاسلام : لم يدع الى القتال : الالرد عدوان على
المسلمين :

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مَن آعَدَنِي عَلَيْكَ فَأَعْدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعَدَنِي
عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

(البقرة : ١٩٤)

أو عدوان على دين الله :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدُوْنَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٥﴾

(البقرة : ١٩٣)

ومن هذا يتضح : أن رسول الله ﷺ : لم يمتشق السيف ،
ليفرض على الناس اتباعه بالقوة ، وتحت تأثير الاكراه ، من
غير اقتناع عقلي ، وتقبل وجداني ، انما كانت الضرورة :
هى التى تلجئه للدفاع عن الاسلام وأهله ، قال الله تعالى :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْهُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٦﴾

(البقرة : ٢٥٦)

وقال تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَسَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِيعًا أَفَأَنْتَ تُخَذِّلُكَ النَّاسَ حَتَّى يَسْكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

(يونس : ٩١)

وبقاء أهل الكتاب في العالم الاسلامي على دينهم حتى
الآن . برهان قاطع لا يقبل الجدل ويثبت ان الاسلام : لم
يكره أحدا على اعتناقه بعد السيف . .

[تقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق الاشارة اليه
ص ٥] .

واذا كان الله قد قرر أن الدين عند الله الاسلام الا أنه
ترك لأهل الكتاب الحرية في الايمان بالاسلام فقال تعالى :

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَمِنْ يَكْفُرُ
بِعَاقِلَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٩٢﴾ فَإِنْ سَاجَدَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ
وَجِئْتُ اللَّهَ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَاسْلَمْتُمْ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ يَهْدِي
بِالْعِبَادِ ﴿٩٣﴾

(آل عمران : ٩٢ ، ٩٣)

وتأكيدا لمبدأ حرية العقيدة قال تعالى :

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُبَدِّلُ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ سُبُلَهُ
مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَكَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾

(النحل : ٩٣)

وقال تعالى :

لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ إِنْ شَاءَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
أَعْيُنُهُمْ لَهَا خاضعين ﴿٤﴾

(الشعراء : ٣ ، ٤)

أى لعلك يا محمد مهلك نفسك لعدم ايمان هؤلاء الكفار
وفى ذلك تسليية للرسول عليه السلام حتى لا يحزن ولا يتأثر
على عدم ايمانهم ولو شئنا لأنزلنا آية من السماء تضطرهم الى
الايمان قهرا (تفسير الصابوني ج ٢ ص ٢٧٧) .

ثانيا : الاسلام لا يكره أحدا على اعتناقه :

يقول الله تعالى :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٦﴾

(البقرة : ٢٥٦)

وقال تعالى :

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا
بِنَارٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٦﴾

(الكهف : ٢٩)

وقال تعالى :

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّطٍ ﴿١٢﴾

(الناشية : ٢١ ، ٢٢)

وفى تفسير قوله تعالى : لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى يقول الفخر الرازى ان الله تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للمعذرة قال بعد ذلك انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلائل عذر للكافر للاقامة على كفره الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك مما لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء اذ فى القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ونظير هذا قوله تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّتَ تَكْرَهُ الْتَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

(يونس : ٩٩)

ويؤكد هذا التاويل فوه سبحانه بعد نفى الاكراه فى الدين « قد تبين الرشد من الغى » يعنى وهو أعلم قد ظهرت الدلائل ووضحت البينات ولم يبق بعدها الا طريق القسر والالغاء والاكراه وذلك غير جائز لأنه ينافى التكليف والابتلاء (السياسة الشرعية للأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف ص ٧٩ ، ٨٠) .

ومما يؤكد ان الاسلام لم يتخذ الاكراه وسيلة لاجبار الناس على الايمان به ما ذكره عباس محمود العقاد ان البلاد التى يكثر بها المسلمون الآن هى التى لم تقع فيها معركة واحدة بين المسلمين وغير المسلمين مثل آندونيسيا وباكستان وبنجلاديش والصين وسواحل أفريقيا وجزر الملايو رغم ذلك يبلغ المسلمون فى تلك البلاد نحو ٤٠٠ مليون بينما البلاد

التي اتجهت اليها غزوات المسلمين فى الصدر الأول من الاسلام مثل العراق والشام فعدد المسلمين فيها يبلغ ١٠ ملايين أو تزيد قليلا. ومعهم من أهل الديانات الأخرى من ظلوا على دينهم. يتمتعون بحرياتهم وينعمون بسماحة الاسلام . [كتاب حقائق الاسلام] .

كما ذكر الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة تدليلا على عدم اتخاذ الاكراه وسيلة لحمل غير المسلمين على الاسلام ، ان الدليل المادى قائم ثابت وهو بقاء تلك الأقليات غير الاسلامية التى عاشت فى ظل المسلمين من عهد الفتوح الاسلامية الى اليوم وانه لو كان الاكراه على الاسلام جائزا لحملوهم على اعلان الاسلام ولم يتركوهم آمنين فى دينهم مراعاة حقوقهم ولما قرروا تلك القاعدة الفقهية التى تقول (أمرنا بتركهم وما يدينون) ولأخذوا يفتشون عن ضمائرهم وقلوبهم كما فعل نبيرون ودقلىديانوس مع النصارى وكما فعل بعد ذلك القساة الغلاظ المتوحشون من أهل اسبانيا وغيرهم وان القرآن وسيرة الرسول وأقوال الفقهاء وبقاء الأقليات غير الاسلامية تقطع على المحرفين للوقائع والتاريخ كل قول واذا كان ثمة مظلوم من أقوالهم فهو التاريخ . (العلاقات الدولية فى الاسلام ص ٩٣ ، ٩٤) .

ومن الجدير بالذكر ان مقارنة حال الأقليات غير المسلمة فى الدول الاسلامية يبين منها مدى ما يتمتعون به من حرية فى ظل الاسلام وشتان بين ذلك وبين ما يلاقيه شعب البوسنة المسلم على أيدي الصرب والكروات من ذبح وتقتيل وانتهاك للأعراض مع وقوف العالم كله موقف المتفرج على هذه المهزلة المهيئة للدول الاسلامية والشعوب المسلمة ، كما أن حظر الغرب مد شعب البوسنة بالسلاح انما يعنى تمكين الصرب والكروات من تصفية الاسلام والمسلمين من البوسنة والهرسك

ثانيا : سبيل الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة :

لما كانت وظيفة الأمة الاسلامية : هى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وقد جعل الله تعالى هاتين الصفتين من أبرز صفات المؤمنين ، فقال تعالى :

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

(. التوبة : ٧١)

والدعوة ثلاث مراتب :

الأولى : دعوة الأمة الاسلامية غيرها من الأمم والشعوب الأخرى الى الاسلام : خاتم الرسالات السماوية ، بحكم أنها حاملة لشريعة الله ، مؤتمنة على تبليغ هذه الرسالة ..

الثانية : دعوة المسلمين بعضهم بعضا ، الى الخير ، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر دعوة كلية ، تتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات والفضائل وغيرها ..

الثالثة : دعوة المسلمين بعضهم بعضا ، الى الخير يأمرهم بالمعروف ، وينهون عن المنكر دعوة جزئية ، تتعلق بأحكام الشريعة الظاهرة ، التى يعرفها المسلمون ، ويستوى فى العلم بها : العلماء وغيرهم : كالحث على اقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام بالنسبة للقادر المستطيع ، والتحذير من شرب الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وحقوق الوالدين ، وإيذاء الجار وغير ذلك على أن تقوم الدعوة : على ثلاثة أسس وهى : (١) الحكمة . (٢) والموعظة الحسنة . (٣) والقدوة الصالحة ..

[هذه الاضافة وردت بتقرير مجمع البحوث الاسلامية
السابق الاشارة اليه ص ٥]

والدعوة الى الله والى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة
تستفاد من قوله تعالى :

ادْعُ
إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَّ لَهُمُ الْبُغْيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْذِرِينَ ﴿١٢٥﴾
(النحل : ١٢٥)

وهذه الآية تضع القاعدة العامة فى الدعوة الى الله .

فقى دعوة المشركين :

الدعوة الى الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وهو المبدأ
الذى ساد الدعوة الاسلامية منذ أن قام بها الرسول والمسلمون
الأوائل . وقد طبق الاسلام ذلك المبدأ فى دعوة المشركين
للايمان فكان تارة يدعوهم للنظر والتفكير فى ملكوت الله
ويبصرهم بنعمه عليهم ويبين لهم دلائل قدرته الدالة على
وجوده وانه واحد لا شريك له وأنه الخالق الرازق القادر
الباسط المحيى المميت . وتارة أخرى يحذرهم من عقابه ان
هم استمروا فى كفرهم ووجودهم ويضرب لهم الأمثال على
ذلك ومع ذلك قوله تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي
مَا ذَاخِلُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ أَلَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ فَهُمْ
عَلَىٰ بَيِّنَةٍ قَدِيرَةٌ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمَ بَعْضًا الْإِعْرَاقَ ﴿٤٠﴾
(فاطر : ٤٠)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَا تُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

(فاطر : ٣)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِخَلْقِ الْإِنسَانِ
وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَالْبَحْرِ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَصَرَفَ الرِّيحَ وَالسَّحَابَ الْمُسْتَطَرَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

(البقرة : ١٦٤)

أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُخْزِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

(فاطر : ٤٤)

وفى دعوة المشركين للإسلام لم يكتف الله بتذكيرهم بفضله
ونعمه عليهم وتحذيرهم مغبة كفرهم بل بين لهم تأليفا
لقلوبهم أنه إنما يريد بذلك الخير لهم والتزم فى الحوار
معه الجانب الموضوعى فقال تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

(النساء : ١٧٠)

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ
كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

(الأنعام : ١٠٨)

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا
يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠٩﴾
(الجاثية : ١٤)

— كما يقول الله تعالى :

* قُلْ مَنْ بَرَّكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ وَإِلَآهُنَّ أَوَّلِيَاكُمْ عَلَىٰ هُنَّ أَوْفٍ ضَلَّ لِلْمُتَّبِعِينَ ﴿١١٠﴾
قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَتَنَا وَلَا نَسْأَلُكُمْ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
رَبُّنَا ثُمَّ يَقْعَمُ بَيْنَنَا الْحَقُّ وَهُوَ الْفَتْحُ الْعَلِيمُ ﴿١١٢﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ
الْحَقُّ عَلَيْهِمْ شُرَكَاءُ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٣﴾

(سبأ : ٢٤ - ٢٧)

وهذه الآيات فيها تحييد للمشركين عند مجادلهم
واللطف معهم عند دعوتهم الأمر الذي يستميلهم ويجعلهم
أكثر استجابة للدعوة .

وفي دعوة أهل الكتاب :

لم يخرج الاسلام في دعوته لأهل الكتاب عن أسلوب
الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فقال تعالى :

* وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ
الْكِتَابِ إِلَّا بَالِغِي أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي
أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ﴿١١٤﴾

(العنكبوت : ٤٦)

وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هُمْ يَكْتُمُونَ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ②

(آل عمران : ٢٠)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ③
(آل عمران : ٦٤)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ
الْقُسْفَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنَتْهُ وَإِنَّهُ فِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُوا
خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْحَقُّ يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ④
(النساء : ١٧١)

يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَحْجُونَ فِي بَرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا
مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ⑤

(آل عمران : ٦٥)

وتأليفا لقلوب أهل الكتاب وتحبيبا لهم فى الايمان
بالاسلام قال تعالى للمسلمين :

قَوْلَاءِ امْنَا

بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ
أَتَتْهُمْ وَأُولَئِكَ قَوْلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ
الَسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

(البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧)

الدعوة بين المسلمين :

وتكون ببيان مفاهيم الاسلام الصحيحة ومعارضة البدع
والأفكار التي لا تتفق مع الاسلام ويجب لذلك اتباع سبيل
الحكمة والموعظة الحسنة والى ذلك يشير قوله تعالى لرسوله
الكريم :

فِي مَرْحَمَةٍ

مَنْ أَلَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

(آل عمران : ١٥٩)

وقوله :

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ وَهَمَّاءُ بِمَنِّهِمْ رَبُّهُمْ رُكَّعًا مُبْتَدِئًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَشْرَارِ السُّجُودِ
ذَلِكَ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَعَازَرَهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنَّا مُنْقِظًا فَاسْتَوَىٰ عَلَى سَوَابِقِ الْوَرَّاقِ لِيَخْطِبَ بِهِ
الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

(الفتح : ٢٩)

ومن أعمال الرسول ﷺ الدالة على الرفق واللين أن
أعرابيا بال في المسجد فقام الناس اليه ليقعوا فيه فقال النبي
ﷺ دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء
فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين • (البخاري) •
وعن أنس (ر) عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ
وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجبذه
بردائه جبذة شديدة فنظرت الى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد
أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال يا محمد :
مر لي من مال الله الذي عندك • فالتفت اليه فضحك ثم أمر له
بعطاء (متفق عليه) •

وفيما يلي سنعرض لبحث بعض المواضيع التي قد يبين
من النظر اليها في الظاهر انها تتعارض مع مبدأ حرية
العقيدة والدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة • وهذه
المواضيع هي :

- ١ - خضوع الدمييين لأحكام الشريعة الاسلامية •
- ٢ - الجزية •
- ٣ - الردة •
- ٤ - الاضطهاد الديني انحراف عن تعاليم الاسلام •

الفصل الثالث

خضوع غير المسلمين لأحكام الشريعة الإسلامية

ويقصد بغير المسلمين الذميون والمستأمنون وهم الذين يقيمون في الدولة الإسلامية ويستظلون برأيها •

والذمي : هو غير المسلم من أهل الكتاب الذي يقيم مع المسلمين بمقتضى عقد الذمة ويتولى إبرامه ولى الأمر ويفرض واجبات على الدولة تنفيذها وحقوقا للذميين يجب رعايتها وهو عقد أبدى بمقتضاه يصبح الشخص رعية إسلامية •

والمستأمن : شخص غير مسلم يدخل الدولة على غير نية الإقامة بها فإقامته فيها تكون محدودة وإن تجددت وقتا بمرء آخر وهؤلاء يطلق عليهم الآن اصطلاح الأجانب •

وإطلاق اصطلاح أهل الذمة على أهل الكتاب الذين يقيمون إقامة دائمة مع المسلمين ليس فيه تقليل من شأنهم أو أنهم أدنى مرتبة فى الحقوق أو الواجبات من المسلمين إنما يقصد بذلك أن لهم حقوقا ثابتة بمقتضى الكتاب والسنة فهى ليست محلا للمنع أو المنع من أحد أيا كان شأنه فهى حقوق مصدرها ذمة الله وذمة رسوله وهى بهذا الوصف تصطبغ بنوع من القدسية والحصانة تمنع من المساس بها أو انتقاصها وهذه القداسة تجعلها فى مرتبة القواعد الدستورية بل هى أرقى منها لأن مصدرها الله ورسوله وفى تسمية أهل الكتاب بأهل الذمة تشريف لهم لأنهم بذلك

ينسبون الى الله ورسوله ولا تدون تلك الحقوق مئة أو منحة من أحد ، وقريب من ذلك قول النبي ﷺ في رواية عن أنس رضى الله عنه « من صلى صلاتنا وأسلم واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله في ذمته (البخارى) فقد جعل الحديث المسلمين اذا توافرت فيهم شروط معينة ذميين لهم ذمة الله ورسوله فلا يعتدى على حقوقهم ومن ثم فلا محل لتضرر غير المسلمين من تلك التسمية .

واذا كانت حقوق غير المسلمين يطلق عليها اصطلاحاً عبارة التسامح الدينى ففى ذلك كثير من التجاوز الا اذا كان المقصود أن الاسلام لا يمنع من تعدد العقائد فى دولته وهذه التسمية لها ما يبررها اذا قيست بما هو حادث فى كثير من الدول غير الاسلامية التى تخارب المسلمين المقيمين فيها مثل ما هو حادث فى البوسنة والهرسك والقلبين وغيرها من البلاد التى يضطهد فيها المسلمون .

وفيما يلى سنبين المصدر القانونى لحقوق غير المسلمين وبعد ذلك نتكلم عن خضوع غير المسلمين لأحكام الشريعة الاسلامية .

أولاً : المصدر القانونى لحقوق غير المسلمين :

ان الاسلام ، وهو دين الانسانية بأسرها ، والحريص على خيرها واسعادها : قد شمل بظله الوارف : أهل الذمة وغيرهم من المستأمنين ، وجعل لهم من الحقوق ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، قال تعالى :

لَا يَجْرِمُكُمْ آلِهَتُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُقِيمُونَ
فَالَّذِينَ وَلَّيْتُمْ مِنْكُمْ دِينًا إِنَّهُم يُعْطُونَ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِمْ إِنْ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧

(المتحنة : ٨)

[فقرة مضافة بنقلير مجمع البحوث الاسلاميه السابق
ذكره]

وما يتمتع به غير المسلمين من حقوق يرجع فى أصله
الى قوله تعالى :

* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا
بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الظِّلْمِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

(الاسراء : ٧٠)

فالتكريم والتفضيل للانسان بصفته انسانا بغض النظر
عن جنسه أو أصله أو لونه أو دينه .

ولهذا نجد الرسول ﷺ يقوم حين مرت به جنازة يهودى
فلما ذكر من كانوا معه من الصحابة أنها جنازة يهودى قال ﷺ
أوليسست نفسا ؟ اذا رأيتم الجنازة فقوموا (البخارى) .

كما نجد سنده فى قول الرسول ﷺ : لهم ما لنا وعليهم
ما علينا وقوله : ألا من ظلم معا هذا أو تنقصه حقه أو كلفه
فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم
القيامة وقوله : من أذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة .

وقد طالب الرسول المسلمين أن يحافظوا على حقوق أهل
الذمة فقال ﷺ : احفظونى فى ذمتى .

(راجع هذا الحديث برواياته فى كشف الخفاء
للمجلونى ج ٢ ص ٢١٨ وكتاب السياسة الشرعية الأستاذ
عبد الوهاب خلاف ص ٤١) .

وقال تعالى :

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى الْآخَرِ وَلَوْ أَعَدُّوا لَهُمْ أَزْوَاجَ النَّقْوَى وَأَتَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(المائدة : ٨) .

وهذه الآية تطالب المسمين بالعدل مع مخالفهم حتى لو كانوا مشركين ، والعدل يقتضى ألا ينقصوهم من حقوقهم شيئاً ولا يعتدوا عليهم (البيضاوى ص ١٤٦) .

ويزكى وجوب أن يكون لأهل الكتاب من الحقوق مثل ما للمسلمين أمور يحرص عليها الاسلام ويعمل على أن يحققها فى مجتمعه وهى :

- ١ - أن يسود العدل بين الناس أيا كانت ألوانهم أو مللهم
- ٢ - تأليف قلوب غير المسلمين للايمان بالاسلام .
- ٣ - حرص الاسلام على وحدة الصف والترابط بين أفراد مجتمعه وهو ما سنبينه بالتفصيل فيما يلى :

١ - حرص الاسلام على تحقيق العدل وتحريم الظلم :

أمر الاسلام بالعدل ونهى عن الظلم فى قوله تعالى :

* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

(النحل : ٩٠)

وقال :

* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَعْلَمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

(النساء : ٥٨)

والتعبير بلفظ الناس يعنى وجوب مراعاة العدل بين الجميع أيا كانت مللهم ونحلهم .

كما أوجب الله العدل حتى مع الأعداء فى قوله تعالى :

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى الْآخِلِينَ أَعْدُوا أَعْدَاءَهُمْ وَاقْرَبُوا الْقُرْبَىٰ ۚ وَتَقْوُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(المائدة : ٨)

وفى النهى عن الظلم ونحريمه قال تعالى :

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

(الشورى : ٤٢)

وقد وردت أحاديث كثيرة تدعو الى العدل وتنهى عن
الظلم ومن ذلك قول الرسول ﷺ : ثلاثة لا ترد دعوتهم
الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله
فوق الغمام ويقول الرب عز وجل وعزتى لأنصرك ولو بعد
حين (الترمذى) .

ويذكر ابن القيم أنه اذ ظهرت أمارات العدل وأسفر
وجهه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه . . . فأى طريق
استخرج بها العدل والقسط فهى من الدين ليست مخالفة له
فلا يقال ان السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع بل هى
موافقة لما جاء به بل هى جزء من أجزائه .

(الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية طبعة سنة
١٩٥٣ ص ١٤) .

٢ - تأليف قلوب غير المسلمين للإيمان بالاسلام :

فقد كان للعدل الذى اشتهر به المسلمون أثر كبير فى
وقوف عرب العراق وعرب الشام والمصريين مع جيوش الفتح
الاسلامى لتلك البلاد مما سهل كثيرا من صعوبات هذا الفتح

وقد ساعد ذلك على طبع تلك البلاد بطابع الاسلام ودخول الكثير من الأهالي فى الاسلام .

[تاريخ نشر العقيدة الاسلامية - سير توماس أرنولد - ترجمة د . حسن ابراهيم وآخرين - القومية المصرية الاسلامية . د . ابراهيم جمعه - الصديق أبو بكر - د . هيكل -]

٣ - حرص الاسلام على وحدة الصف فى المجتمع :

حرص الاسلام على وحدة الصف داخل مجتمعه فكان أول عمل فعله الرسول بعد هجرته الى المدينة أن أصلح بين الأوس والخزرج وأخى بين المهاجرين والأنصار وعقد معاهدة بينه وبين يهود المدينة اقرهم فيها على دينهم وأموالهم وشرط عليهم وشرط لهم كما عاهدهم على ألا يعتدى فريق على آخر ولا يحالفوا غيره عليه (- نظم الحكم فى الاسلام - د . محمد يوسف موسى ص ١٠) .

يضاف الى ذلك : ان من أقوى العوامل على تقدم الأمة ونهوضها ، وخير سبيل لعلو شأنها ورفع منارها ، وبلوغها ذروة المجد والشرف : هو اتحاد القلوب وتضافر الجهود ، وجمع الكلمة ، فبالاتحاد : تقوى الشوكة ، وتتم النعمة ، وتؤمن الفوائد ، ويكثر التواصل ، وتعظم المحبة وتنال المآرب ، لهذا كله حث الاسلام على الاتحاد ، ورغب فيه ، ولما يترتب عليه : من جليل المنافع ، وعظيم الفوائد ، قال الله تعالى :

وَأَعِظُمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَذَكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(آل عمران : ١٠٣)

ففى هذه الآية الكريمة : يأمرنا الله تعالى : بالاتحاد والتضامن : تحت راية القرآن ، وأن نكون جميعا : كتلة متماسكة ، وقلبا واحدا ، ويدا واحدة ، نسير على هديه ، ونستضيء بضوئه ، بحيث لا نصدر : الا عن حكمه النفيسة ، وتعاليمه السامية ، وارشاداته الحكيمة ، وتوجيهاته الرشيدة ، وأن نكون دعاة اصلاح وسلام ، لا دعاة فرقة وانقسام . . . وقد أثر عن الامام الشيخ محمد عبده أنه قال : « اذا أحسست من أمة ، ميلا الى الوحدة ، فبشرها ، بما أعد الله لها فى مكنون غيبه من السيادة العليا . . . فالاسلام ، يأمر باتحاد كل قوم تضمهم أرض ، وتظلمهم سماء ، وان اختلفت أديانهم ، وتباينت نحلهم ، على الخير والمصلحة العامة ، لا فرق فى ذلك بين مسلم ومسيحي ، فحياة الوطن وارتقاؤه ، لا تكون الا باتحاد كل المقيمين فيه ، لأنهم فى أرض الوطن سواء ، وخيراته بينهم بلا استثناء !!

[فقرة مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق

ذكره ص ٦]

وقد دعا الاسلام الى وحدة الصف فى قوله تعالى :

وَأَعِظُمُوا بِحَبْلِ

اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَذَكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْنَاءَ

فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(آل عمران : ١٠٣)

وقوله :

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ ①

(الصف : ٤)

وحذر من الفتنة وجعلها أشد من القتل (راجع الآية ١٩١ ، ٢١٧ من سورة البقرة) وحذر من التنازع في قوله تعالى :
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾

(الأنفال : ٤٦)

ووحدة الصف داخل المجتمع من الأمور التي يحرص عليها الدين في أى زمن أو مكان فحين ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه وخلف أخاه هارون في قومه أوصاه بأن يصلح ولا يتبع سبيل المفسدين . وقد حدث في غيبة موسى أن صنع السامري من حلى القوم عجلا دعاهم لعبادته فعكفوا عليه فلما رجع موسى غضبان أسفا لما حدث وأمسك بزأس أخيه ولحيته وجره اليه قائلا ما دعاك اذ رأيتهم كفروا بالله ألا تتبع أمرى ووصيتى بأن تخلفنى فى قومى وتصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فكان رد هارون عليه أنه خاف أن زجرهم بالقوة أن يقع قتال بينهم فيلومه موسى على اشعال الفتنة بين القوم .

وقد حكى القرآن ذلك فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام

قَالَ يَهْرُوتُ

مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ

يَبْتَغِي اللَّهَ لَأَتَّخِذَ بِهِ حِجْبًا وَلَا بَاسَ لِي بِهِ إِنَّ خَشْيَةَ أَنْ تَقُولَ فَرَّقَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

(طه : ٩٢ - ٩٤)

[تفسير الصابونى ج ٢ ص ١٥٠ - ١٥٣]

ثانيا : مدى خضوع غير المسلمين لأحكام الشريعة الاسلامية :

١ - فى المعاملات المالية يلتزم غير المسلمين بأحكام الاسلام لأن المعاملات أساس النظام الاقتصادى فى الدولة .

٢ - في الجنايات : يخضع غير المسلمين للعقوبات الاسلامية
لأن الجرائم افساد للمجتمع والعقوبات حماية للمجتمع
من هذا الفساد .

٣ - نظام الأسرة من زواج وطلاق : ونظرا لصلة تلك الأحكام
بأصل التدين فقد درج أولياء الأمور من المسلمين على
ترك ذلك لأحكام دينهم ووضعت قاعدة فقهية تقول
أمرنا بتركهم وما يدينون أى فى الأسرة والدين .

وقد خالف أبو حنيفة الجمهور فى بعض الأحكام أخذا
بمبدأ الحرية الدينية لأقصى مدى فأعفى شارب الخمر غير المسلم
من العقاب وأوجبه على المسلم اذا آتلف خمرا لدمى أن
يموضه والحدود التى تعتبر حقا خالصا لله قرر انها لا تقام
على المستأمن .

والمستأمن ماله الذى اكتسبه فى دار الاسلام يثبت له
الأمان لأنه بدخوله دار الاسلام يثبت الأمان لنفسه وماله
ولو عاد لدار الحرب ظل الأمان لماله حتى لو حمل السلاح
فلا تجوز مصادرته . ولكنه اذا حارب المسلمين وأسر واسترق
زالت عنه ملكية ماله لأنه يصبح غير أهل للملكية فيؤل ماله
الى بيت مال المسلمين أما اذا مات المستأمن سواء فى دار الاسلام
أو بعد عودته الى بلاده فان ماله يرسل الى ورثته وخالف فى
ذلك الشافعى . أما اذا كان المستأمن ليس له وارث كان
ماله فيئا للمسلمين .

مدى خضوع غير المسلمين للقاضى المسلم :

يوجد فى الفقه الاسلامى آراء ثلاثة هى :

١ - يرى أبو حنيفة ان القاضى المسلم يلتزم بنظر القضية

والحكم فيها اذا تقدم له الطرفان نزولا على قوله تعالى :

وَأَرْحَمُ بَيْنَهُمَا أَنزَلَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا
مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾

(المائدة : ٤٩)

٢ - ويرى الامام مالك ان القاضى يكون مخترا بين أن يحكم
فى النزاع بين غير المسلمين أو أن يعرض عنهم اعمالا
لقوله تعالى :

فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمُ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
(سورة المائدة : ٤٢)

٣ - ويوجد رأى يبسط سلطان القضاء الاسلامى على غير
المسلمين وان لم يتقدموا اليه فالذى يسرق تقطع يده .
والرأى الأخير هو الذى يتفق مع مبدأ سيادة الدولة على
اقليمها وعلى الأشخاص المقيمين على أراضيها وهو من
البداهيات المسلم بها فى القانون الدولى والدستور . وخضوع
غير المسلمين للقانون الاسلامى لا يعتبر ماسا بالحرية الدينية
لأن القواعد المستمدة من الشريعة الاسلامية هى قواعد
قانونية مجردة محققة للعدالة وهو القصد من أى تشريع
يفض النظر عن المصدر الذى استمدت منه ولا يعتبر فى
ذلك مساس بالحرية الدينية طالما أن تلك القواعد لا تتعارض
مع نصوص ضريحة لأصحاب الديانات التى تطبق عليهم -
واذا كان العمل قد جرى على خضوع غير المسلمين فى أحوالهم
الشخصية للأحكام المستمدة من دينهم فان هذا الاستثناء
لا يتوسع فيه .

[العلاقات الدولية فى الاسلام - أ . محمد أبو زهرة

ص ٦١ - ٧٢ ،

التشريع الاسلامى لغير المسلمين - الشيخ عبد الله المراغى

ص ٤١ ، ٤٢] .

الفصل الرابع

الجزية

تفرض الدول المنتصرة الآن على الدول المهزومة غرامات حربية كبيرة وتتخذ ضدها من الاجراءات ما يضمن عدم تكرار اعتداءاتها ولم يستنكر المجتمع الدولي هذا الصنيع وقد تم تشريع الجزية في الاسلام في ظروف الحرب فقد كانت بين المشركين والرسول عهود ومواثيق كما كانت بينه وبين اليهود عهود ومواثيق الا أن طوائف اليهود خانت الرسول ونقضوا عهدهم معه وتعاهدوا مع المشركين ومن ثم فلم يكن من الحكمة أن يبقى المسلمون على تلك العهود والمواثيق بعد أن نقضها أعداؤهم فنزلت سورة براءة متضمنة قطع ما بين المسلمين والمشركين من صلات ثم تلتها الآيات في قتال الناقضين للعهد من أهل الكتاب ووضعت القاعدة في بقائهم في شبه الجزيرة العربية وهو فرض الجزية عليهم بعد ما أثاروه من حروب واعتداءات على المسلمين وبعد انتصار المسلمين عليهم وذلك لكسر شوكتهم وضمان خضوعهم لحكم المسلمين . وفي ذلك يقول الله تعالى :

قُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾

(التوبة : ٢٩)

وعلى ذلك فالجزية لا تعتبر عقوبة على عدم اعتناق الاسلام كما يتوهم البعض مما يوحى بأن الاسلام يجبر غير المسلمين بهذه الطريقة على اعتناقه الأمر الذى يتنافى مع مبدأ حرية العقيدة *

وقد حاول الفقهاء تبرير فرض الجزية على غير المسلمين بالآتى :

١ - ذهب رأى الى أن الجزية مقابل الزكاة التى تفرض على المسلمين بمقتضى الاسلام حتى يتساوى أبناء الوطن الواحد فى تحمل الأعباء العامة فهى مظهر للعدالة الاجتماعية ولذلك وضعت الجزية فى عهد عمر بن الخطاب عن قبيلة بنى تغلب حين اختارت أن تؤدى الزكاة عن رضى واختيار *

(روح الدين الاسلامى أ - عفيف طيارة ص ٣٧٧ - أ - الشيخ عبد الوهاب خلاف السياسة الشرعية ص ١٠٤) *

٢ - الجزية مقابل ما يتحمله المسلمون من عبء الدفاع عن البلاد المفتوحة :

ويؤكد ذلك :

(أ) ان الجزية لم تكن تفرض على الصبيان والنساء لأنهم معفون من التجنيد *

(ب) من كان يقبل الانخراط ضمن الجيش الاسلامى من أهل الكتاب كان يعفى من أداء الجزية وقد حدث ذلك مع قبيلة الجراجة التى كانت تقيم قرب انطاكية وهى قبيلة مسيحية اشتركت فى الفتوح الاسلامية نظير اعفائها من التجنيد واشتراكها فى الغنائم *

وفى الحروب شمالى فارس سنة ٢٢ هـ أبرم مثل هذا الاتفاق مع القبائل المقيمة على الحدود *

(كتاب الدعوة الى الاسلام - سير ارنولد - ترجمة حسن ابراهيم وزميليه ص ٥٨ ويشير الى مراجعة البلاذرى فتوح البلدان ص ١٥٩ والطبرى ج ١ ص ٢٦٥ من كتاب تاريخ الرسل والملوك) .

(ج) رد المسلمون ما أخذوه من جزية من أهل حمص حين اضطروا الى تركها للاشتراك فى موقعة اليرموك .
(العلاقات الدولية فى الاسلام ص ٥٥ ، ٥٦) .

وتوضيحا لذلك يضاف : ان من أبى الاسلام : من أهل الكتاب ، وأراد أن يحتفظ بعتيدته ، فى ظل الحكم الاسلامى ، فان ذلك له ، دون اكراه أو ضغط : على أن يدفع الجزية مقابل حماية الاسلام له ، بحيث تسقط عنه ان عجز المسلمون عن حمايته . .

[فقرة مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق
الاشارة اليه ص ٧]

والجزية لا تجب الا على رجل حر عاقل قادر على أدائها ولا تجب الا مرة واحدة فى السنة وتختلف باختلاف حالة الأشخاص المالية وقد وردت أحاديث تنهى عن الارهاق فى تقدير الجزية أو القسوة فى تحصيلها ومن ذلك قوله ﷺ من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقتة فأنا حجيجه . وروى ابن عباس ليس فى أموال أهل الذمة الا العفو .

(السياسة الشرعية أ* عبد الوهاب خلاف ص ١٢٢، ١٢٣)

٣ - تشريع الجزية فى العصر الحالى :

واجب الدولة أن تستلهم فى علاقتها بغير المسلمين الذين كان يخضع أسلافهم لتشريع الجزية ثم صار أولو الأمر يعفونهم من الجزية ومن التسمية وصاروا يتقاضون منهم على أراضيهم وأموالهم وتجارتهم ضرائب اسوة بما هو متبع مع المسلمين . وسكت جمهور المسلمين على ذلك ولم يعد

هؤلاء محلا للوصف الذى وصفوا به فى الآية ٢٩ من سورة التوبة والتى كانت الأساس لفرض الجزية على أسلافهم ومن ثم فليس ما يمنع من تسويغ ما تم من اعفاء لهم من دفع الجزية والزامهم بدفع الضرائب وسائر الأعباء العامة اسوة بالمسلمين .

(الدستور القرآنى - أ . محمد عزة دروزه - ج ١ ص ١٨٢ ، ١٨٣) .

٤ - استمرار بقاء تشريع الجزية :

إذا كان تشريع الجزية للأفراد أصبح غير قائم الآن لعدم تطبيقه الا ان النص القرآنى لا يقتصر تطبيقه على الأفراد فليس ما يمنع من تطبيقه على الدولة التى تحارب المسلمين إذا انتصرت الدولة الاسلامية عليها ويكون ما يفرض من غرامة حربية بمثابة جزية .

(المرجع السابق ص ١٨٠) .

الفصل الخامس

السردة

يقول الله تعالى :

وَقَالَ طَالُوتُ

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَلَّذِي أَنزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا
بِآخِرِهِ لَعَلَّكُمْ تَرْجِعُونَ ﴿٧١﴾

(آل عمران : ٧٢)

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ

مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ لِعَذَابِ الْعَذَابِ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾

(آل عمران : ٨٥ - ٨٨)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ
لِللَّهِ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٧١﴾

(النساء : ١٣٧)

وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُوتْ وَمَنْ كَانَ مِنْ
أُولَئِكَ خَطِئَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧١﴾

(البقرة : ٢١٧)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
عَنْ دِينِهِ فَمَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ أَوْمَةَ لَأَيِّمٍ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

(المائدة : ٥٤)

فالمرتد مسلم كفر بعد ايمان ويكون ذلك باعلان اعتناقه
دينا غير الاسلام أو انكار ركننا من أركان الاسلام أو فرضا.
من فروضه التي تعلم من الدين بالضرورة بحكم اقامة
الشخص في دار الاسلام .

ولتوضيح ذلك يضاف ان : المرتد عن الاسلام : طائفا
مختارا ، تعرض عليه التوبة ، ويمهل ثلاثة أيام ، ليراجع
نفسه ، وتزال شبهته ، وتقام له خلالها : الأدلة والبراهين
التي من شأنها : أن تعيد الاسلام الى قلبه . وتذهب عنه
وساوس الشيطان ، فان اقتنع ، وعاد الى الاسلام ، وتاب
والى الله أناب ، قبلت توبته وسقط عنه الحد ، وان أصر على
الردة ، وصمم على التمسك بما انتقل اليه : أقيم عليه حد
الردة : وهو القتل ، ضربا بالسيف ، لما روى عن ابن عباس
رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « من بدل دينه
فاقتلوه » رواه مسلم ، وفي رواية أخرى لابن عباس : « من
خالف دينه ، دين الاسلام ، فاضربوا عنقه » أخرجه البخاري
ومسلم ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان ، وقتل نفس بغير
نفس » رواه مسلم .

والردة : تقع بالقول ، أو بالفعل ، أو بالاعتقاد ، فمن
سب الله ، أو أحدا من رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، أو
سجد لغير الله ، أو وضع القرآن الكريم : في القاذورات ، أو
شكك في نضه ، أو فيما هو معلوم من الدين بالضرورة ، أو
اعتقد حل ما حرم الله عز وجل : فهو مرتد حلال الدم .

وكذلك من يقوم بترويج أقوال الكفار والمشركون والملحدين: التي هي ضد الدين وتعاليمه . سعتقدا صحتها : فهو مرتد ، بخلاف ما لو حكاها وهو لا يعتقد صحتها ، بأن حكاها للاستشهاد : في الرد على خصوم الاسلام . .

والمرأة المرتدة : حكمها في ذلك : كالرجل عند جمهور الفقهاء ، لما روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه « أن النبي ﷺ ، لما أرسله الى اليمن ، قال له : أيما رجل : ارتد عن الاسلام فادعه ، فان عاد ، والا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة : ارتدت عن الاسلام فادعها ، فان عادت ، والا فاضرب عنقها » وعن جابر رضى الله عنه : « ان امرأة يقال لها . . ام مروان » ارتدت ، فأمر النبي ﷺ ، بأن يعرض عليها الاسلام ، فان تابت والا قتلت فأبت أن تسلم : فقتلت ، أخرجه الدارقطني والبيهقي ، وروى أن أبا بكر رضى الله عنه : استتاب امرأة يقال لها (أم قرفة) كفرت بعد اسلامها ، فلم تتب : فقتلها » وذلك خلافا ، لما ذهب اليه أبو حنيفة رضى الله عنه : أن المرأة ، اذا ارتدت : لا تقتل ولكن تحبس ، وتخرج كل يوم ، فتستتاب ، ويعرض عليها الاسلام ، وتظل هكذا حتى تعود الى الاسلام أو تموت !!

وهذه العقوبة بالنسبة للمرتد : تعتبر اجراء وقائيا ، لكيلا يتخذ الدين مهزلة ، يدخل فيه الانسان متى شاء ، ثم يخرج منه متى أراد ، استخفافا بالله وبرسوله وبالمجتمع المسلم ، والمرد : لا يغسل ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ويمنع من التصرف في ماله حال رده ، وتقضى عنه ديونه ، وينفق منه عليه وعلى أولاده ، فان أسلم : يرجع اليه ماله ، وان مات مرتدا : صار ماله فيئا فور موته « . .

[مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق ذكره
ص ٧ ، ٨]

واستنادا على ما ورد بالسنة النبوية وما جرى عليه فعل الصديق ومحاربته للمرتدين واعدام الامام على لمن ارتد فقد

اتفقت كلمة الفقهاء على اعدام المرتد وان خالف في ذلك أبو حنيفة بصدده عقاب المرأة المرتدة حيث يرى عدم فتلها ولذلك اختلف فيما اذا كان يجب تنفيذ عقوبة اعدام المرتد في الحال أم انه يمهل ثلاثة ايام لعله يتوب عن الردة ويعود للاسلام .

(الأحكام السلطانية للماوردي ص ٥٢ ، ٥٨ - لواء الاسلام عدد فبراير سنة ١٩٦٢ ص ٥٦) .

وسبب ذلك يرجع الى أن الارتداد جريمة تقع ضد الدولة لأن الدولة في الاسلام تقوم على اساس من الدين الاسلامي فليس الأساس الذي يجمع بين أفرادها اتحاد في الجنس أو اللغة أو الاقامة على اقليم معين فمن ثم كان من يمس الدين يمس الأساس الذي قامت عليه الدولة واذا انهار هذا الأساس انهار البناء من قواعده . لذلك اعتبر الارتداد مسألة سياسية وكان مرادفا لجريمة الخيانة العظمى فضلا عما فيه من الاساءة الى الاسلام واهانة عقيدته .

(الجريمة والعقوبة - أ . الشيخ محمد أبو زهرة ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ص ٤٤ - ٧٥) .

ويذكر الامام ابن القيم ان عقاب المرتد بالاعدام مسألة لا علاقة لها بحرية العقيدة المقررة في الاسلام وانها مسألة سياسية قصد بها حياة المسلمين وحياطة تنظيمات الدولة الاسلامية وأسرارها من تدرع أعدائها المتربصين بها للنيل منها بادعاء الاسلام وقد أشار القرآن لهذا المعنى في الآية الكريمة :

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ

مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكُفُّوا

عَنْ آخِرِهِ لَعَلَّهُمْ يُرجَعُونَ ﴿٧٢﴾

(آل عمران : ٧٢)

[بحث للشيخ محمد سعاد جلال بمجلة الكاتب عدد سبتمبر سنة ١٩٦٥ ص ٤٤ - ٧٥] .

وفى رواية ثالثة أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك
حرمت علينا دماءهم وأموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين
وعليهم ما عليهم .

(أصحاب السنن) .

وقول النبي ﷺ لأسامة بن زيد حين قتل رجلا بعد أن
قال لا اله الا الله . من لك بلا اله الا الله يوم القيامة
وحين ذاك قال أسامة للنبي ﷺ دفاعا عن نفسه انما
قالها مخافة السلاح قال النبي ﷺ أفلا شققت عن قلبه حتى
تعلم من أجل ذلك قالها أم لا . من لك بلا اله الا الله يوم القيامة
فما زال يقولها حتى وددت أنى لم أسلم الا يومئذ . (أبو داود
ومسلم) .

فانه ترتيبا على ما تقدم لا يجوز رمى مسلم بكفر الا اذا
غير دينه اما اذا أنكر بعض الفرائض غير جاحد لها انما كان
ذلك لتأويل سىء فى نفسه وان كان ضعيفا فانه لا يعد كافرا
أى مرتدا بهذا التأويل وان جاز تعزيره .

(الجريمة والعقوبة - أ . أبو زهرة - ص ٤٨٨ - ٤٩٧)
وفى ضوء ما تقدم يمكن بحث حكم الذين يعارضون الحكم
بما أنزل الله :

يقول الله تعالى :

وَمَنْ يُضِلَّهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ يَنْفُسَ بِالنَّفْسِ وَالْأَعْيُنَ وَالْأَفْئِدَةَ وَالْأَفْئِدَةَ
بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنِ وَاللِّسَنِ وَالْجُحُودِ قَصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَمَآرَةٌ لَّهُ وَمَنْ يُضِلَّهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝

وَيُضِلُّكُمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ
يُضِلَّهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝

(المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧)

وفى صدد تفسير جملة « ومن لم يحكم بما أنزله الله »
الواردة فى الآيات السابقة روى الطبرى عن البراء بن
عازب عن النبى ﷺ انها وردت فى حق الكفار - وروى عن
بعض أهل التأويل انها فى حق أهل الكتاب أو الكفار أو أهل
الشرك • وعن الشعبى ان الأولى فى حق المسلمين والثانية
فى حق اليهود والثالثة فى حق النصارى •

وعن الحسن انها وان كانت فى حق اليهود والنصارى
فهى تتناول المسلمين •

وقال الطبرى : ان اولى الاراء بالصواب قول من قال
انها نزلت فى أهل الكتاب لان ما قبلها وما بعدها نزلت فيهم
وهم المعنيون بها •

ومع ما فى رأى الطبرى من وجاهة فان نظم الجمل
الواردة فى الآيات يجعل الحكم الوارد بها عاما شاملا كل من
لم يحكم بما أنزل الله ويدخل فى ذلك المسلمون أيضا •

وفى رواية للطبرى عن ابن عباس وغطاء وطاوس ان
الكفر والظلم والفسق فى الجمل الثلاث هى كفر دون كفر
وظلم دون ظلم وفسق دون فسق أى انها ليست بمعنى كفر
بالله يخرج عن الملة • فالجمل الثلاث جاءت فى مقام تعظيم
جريمة من يهمل الحكم بما أنزل الله أو يتجاوزه • وقول هؤلاء
العلماء من الصدر الأول يعتبر هذه الجمل مطلقة ويدخل
المسلمون فيها هو تخريج جيد •

وفى رواية للطبرى عن ابن عباس ان من لم يحكم بما
أنزل الله من المسلمين وهو جاحد فهو كافر وان كان غير
جاحد فهو ظالم وفاسق ولا يخرج عن ملته وهو قول له
وجاهة لا تنكر - ويصح أن يضاف اليه ان هذا يصح ان كان
ذلك تعمدا وتجاوزا مقصودا ولم يكن اهنالا ولم يوجد تأول
ومخرج •

وقد رويت عن النبي ﷺ بعض الأحاديث التي تفيد وجوب التجاوز عما يقع من المسلمين أو الحكام من تجاوزات . مثل قوله ﷺ :

ـ السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (رواه الخمسة) .

ـ من رأى من أميره شيئا يجره فليصبر فان من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية (الشيوخان) .

ـ انه يستعمل عليكم امراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برىء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع . قيل يا رسول الله ألا نقاتلهم قال : لا ما صلوا (مسلم وأبو داود) .

ـ الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برا كان أو فاجرا والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا وان عمل الكبائر . والصلاة واجبة على كل مسلم برا كان أو فاجرا وان عمل الكبائر (أبو داود) .

(الدستور القرآنى والسنة النبوية ج ١ - أ . محمد عزه دروزه - ص ٣٥٦ - ٣٥٨) .

ويذكر الأستاذ عزه دروزه تعليقا على هذه الآيات والأحاديث ان هناك فريقا من الناس لا يتورعون عن توجيه الكفر للناس والحكام والدعوة الى حربهم والعنف ضدهم دون ترو اذا ما تراءى لهم انهم جاروا عن بعض أحكام الله ولا يقبلون تأويلا ولا تخريجا ويستحلون دماءهم واثارة الفتن والتخريب فى بلاد العرب والاسلام مما يكون فيه عظيم الكوارث بزعم الرغبة فى اصلاح الأمور كأنما ينصبون أنفسهم ديانين على المسلمين وحكامهم مع انهم غالبا ما يكونون أفرادا أو قلة ومع ان الذين ينعتونهم بالكفر ويستحلون دماءهم يظهرون علائهم الاسلام ويقومون بأركانه من صلاة وزكاة وصيام وحج وتعزيد ويكون غالبية المسلمين وعلماء

الديق منسجمين ومتعاونين معهم ومع أن النبي ﷺ أكثر من القول بوجوب درء التهم والحدود والعقوبات بالشبهات ومن ذلك قوله ﷺ ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة (الترمذى) قال ادرأوا الحدود بالشبهات • ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم (عن عبد الله بن مسعود مرفوعا) •

وهذه الأحاديث توجب التروى في توجيه تهمة الكفر والانحراف الى المسلمين وحكامهم والتماس المخارج لهم ماكان ذلك سائغا •

وقد استأذن خالد بن الوليد في قتل رجل تجراً على الرسول ﷺ وقال له : اتق الله ولكن الرسول رفض أن يأذن لخالد بقتله قائلاً : لا لعله أن يكون يصلى • قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ : انى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم • [الشيخان والترمذى]

كما قال ﷺ :

لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والمفارق لدينه التارك للجماعة (الشيخان والترمذى) (المرجع السابق ص ٣٥٧ - ٣٥٩) •

رد شبهة

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأن قتال الصديق لمانعى الزكاة الذين لم ينكروا أصل فرضيتها وانما اعترضوا على أدائها الى أبى بكر - وكان النبي يجيز توزيعها على فقراء هذه القبائل التى تجبى منها - لأنها ليست بجزية لأن الجزية

انما تفرض على أهل الكتاب وهم مسلمون ومن ثم فما كان
يجوز قتالهم وهو ما رآه بعض المسلمين ومنهم عمر بن الخطاب
الا أن الصديق قاتلهم لأنه رأى في منعهم الزكاة تمردا على
سلطان الدولة في المدينة •

[الصديق أبو بكر - د • هيكل - طبعة وزارة التربية
والتعليم ص ٣٥ ، ٤٠ - الدستور القرآنى المرجع السابق
ص ٤١٢] •

الفصل السادس

الاضطهاد الديني انحراف عن الاسلام

من الأمور التي تعتبر نتيجة طبيعية لمبدأ حرية العقيدة ولأن الاسلام لا يكره أحدا على اعتناقه أن يكون الاضطهاد الديني انحرافا عن تعاليم الاسلام فالله تعالى يقول : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين (المتحنة: ٨) وهذه الآية وضعت القاعدة في معاملة الذين يختلفون معنا في الدين فأمرت بالبر بهم وصلتهم والعدل معهم طالما انهم لم يناصروا المسلمين العداء والقتال . ويقول الرسول ﷺ من أذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة . وقال : ألا من ظلم معاهدا أو نقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة (كشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢١٨) وقد منعت هذه الأحاديث ظلم غير المسلمين أو اضطهادهم .

ويضاف الى ذلك : « ان الاسلام : وصى بأهل الكتاب خيرا ، فجعل لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، يستثنى من ذلك الحربى ، قال الله تعالى :

لَا تَجِدُ أَهْلَهُمْ إِلَّا بِطَانَةً يُقَاتِلُوكُكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولَّوْهُم مِّن يَّوْمِهِمْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦﴾

(المتحنة : ٩)

وقال جل شأنه :

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ وَالطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْحُصْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحُصْنُ

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَاهُمُ الْأُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ
غَيْرِ مُسْفِهِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخُسِرَانِ ﴿٥﴾

(المائدة : ٥)

وقال رسول الله ﷺ : « من أذى ذميا : كنت خصمه يوم
القيامة » وفي رواية أخرى : « من أذى ذميا : فقد أذاني ،
ومن أذى ذميا : كنت حجيجه يوم القيامة » وروى الطبراني
عن أم سلمة رضي الله عنها « أن رسول الله ﷺ أوصى عند
وفاته قال : الله .. الله .. في قبض مصر ، فانكم ستظهرون
عليهم ، ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله » . وروى
الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : « سمعت
رسول الله ﷺ يقول : اذا فتحت مصر : فاستوصوا بالقبط
خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » يعنى بالذمة : العهد ، وبالرحم :
أن هاجر أم اسماعيل عليه السلام : كانت منهم » وروى أن
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لما فتح مدينة
القدس : كتب للنصارى : أمانا على أنفسهم وأولادهم
ونسائهم ، وجميع كنائسهم : لا تهدم ولا تسكن ، وأنه جلس
في صحن كنيسة القيامة ، فلما حان وقت الصلاة : أشار
عليه البطريرك : أن يصلى فى الكنيسة ، فامتنع عمر رضي
الله عنه ، وخرج وصلى على الدرجة التى على بابها بمفرده ،
ثم جلس . وقال للبطريرك : لو صليت داخل الكنيسة .
لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا : ها هنا صلى عمر ، وكتب
كتابا : يتضمن أنه لا يجتمع المسلمون بها للصلاة ، ولا يؤذنون
عليها .. وأقرب الناس الى المسلمين : هم النصارى ، والله
تعالى يقول :

لِيَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَيَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ قَسِيصٌ
وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

(المائدة : ٨٢)

لما سافر عمرو بن العاص الى الحبشة قبل اسلامه ،
ليتأمر على المسلمين المهاجرين اليها : الذين قال لهم رسول الله
ﷺ لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا ، لا يظلم
عنده أحد . وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم : فرجا مما
أنتم فيه » فقال للنجاشى : اسألهم ماذا يقولون عن المسيح ؟
فقرأ عليه جعفر بن أبى طالب « سورة مريم » فبكى النجاشى ،
وبكى معه الأساقفة ، وقالوا : « ان هذا والذي جاء به عيسى
ليخرج من مشكاة واحدة » . . والتاريخ يحدثنا : ان اشتداد
الأزمة : يجمع دائما بين المسلمين والمسيحيين ، كما حدث
فى ثورة ١٩١٩م ومعركة ١٩٥٦م ولم لا ؟ والكل يعيش
فى وطن واحد هو « مصر » كنانة الله فى أرضه ، آمالهم
واحدة ، وآلامهم واحدة ، وعدوهم واحد ، صديقهم واحد ،
وكلهم أمام الدولة سواء ، فى الحقوق والواجبات » .

[مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق ذكرها
ص ٨ ، ٩] .

ويقول الشيخ محمد عبده فى ذلك : جاءت السنة
المتواترة بالنهى عن اىذاء أهل الذمة وبتقرير مالهم من حقوق
على المسلمين وان لهم ما لنا وعليهم ما علينا وان من آذى
ذميا فليس منا واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام
ولست أبالى اذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الأحكام
عندما بدأ الضعف فى الاسلام وضيق الصدر من طبع الضعيف
وذلك مما لا يلصق بطبيعته ويخلطه بطيئته . (الاسلام
والنصرانية ص ٦٤) .

واذا كان التاريخ قد حفظ لبعض الحكام اضطهادا لاهل
الذمة فان ذلك يرجع لأسباب سياسية لا دينية « نظام الحكم
فى الاسلام د • عبد الحميد متولى • ص ٧٢٥ » •

هذا فضلا عن ان أى تجاوز من أى فرد من الأفراد
لا يعتبر حجة على الاسلام لأن الاسلام ومبادئه هو الحجة على
الجميع ومع ذلك فان ما روته كتب التاريخ من حوادث رغم
قلتها مردود عليها بالآتى :

بالنسبة لما قيل من اضطهاد هارون الرشيد للمسيحيين
ببغداد فانه مردود عليه بأن ذلك كان قاصرا على الموجودين
منهم ببغداد دون سائر البلاد التابعة للخلافة مما يدل على ان
الأمر لم يكن موجها الى المسيحية ومعتنقيها والا شمل
الاضطهاد كل المسيحيين الموجودين ببلاد الخلافة فالامر لا يعدوا
أن يكون أثرا من آثار سوء العلاقة بين الدولة الاسلامية
والملكة البيزنطية لا أثرا لتعاليم الاسلام (ضحى الاسلام
- أ • أحمد أمين - طبعة سنة ٩٥٦ ج ١ ص ٣٨٢) •

يؤكد ذلك أن طبيب الرشيد كان مسيحيا نسطوريا
(الدعوة الى الاسلام المرجع السابق ص ٦١) •

كما وضع هارون الرشيد المدارس تحت اشراف يوحنا
ابن ماسويه • وكان طبيب المنصور هو جورجيس بن يختشوع
وكان فيلسوفا كبيرا وقد علت منزلته عند المنصور ونال
عنده حظوة كبيرة ولما مرض أمر المنصور بحمله الى دار العلاج
وخرج ماشيا لكى يسأل عنه (الاسلام والنصرانية ص
١٥ ، ١٦) •

وفى عهد المعتصم أمر بجلد امام ومؤذن لاشتراكهما فى
هدم أحد معابد الفارسيين فى بلاد الصفد واستخدما حجارته
فى بناء مسجد مكانه (الدعوة الى الاسلام - المرجع السابق
ص ١٧٩ - ٢٤٦) •

كما تولى بعض الذميين قيادة الجيش اثناء الحكم الاسلامى للأندلس (رسالة التوحيد ص ١٨٥) •

وأجاز الماوردى تولى الذميين منصب الوزارة على أن يكونوا وزراء تنفيذ (الأحكام السلطانية ص ٢٧) •

وقد كان للحروب الصليبية التى شنتها الدول الغربية على الدول الاسلامية فضلا عن اضطهاد هذه الدول لرعاياها من المسلمين اثر فى وضع المسيحيين فى الشرق وما أثير نحوهم من كراهية وبغض (حضارة الاسلام تأليف جوستاف جرينباوم - الترجمة العربية عبد العزيز جاويد ص ٢٣٢)

وقريب من هذا ما نشهده اليوم من تحيز الغرب فى علاج القضايا الاسلامية الأمر الذى يزكى شعور البغض والكراهية بالنسبة للمسيحيين الموجودين بالشرق وبالنسبة لليهود بعد اغتصابهم لأرض العرب ودولتهم بفلسطين وتشريد الفلسطينيين فقد ثارت موجة من البغض والكراهية ضد اليهود المناصرين لاسرائيل والمقيمين فى الدول العربية رغم انحسار حكم الاسلام عن تلك البلاد وهو رد فعل طبيعى يتفق مع الطبع الانسانى ويقره الاسلام كرد فعل للعدوان الواقع على المسلمين اعمالا للقاعدة الواردة فى قوله تعالى : انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون (الممتحنة : ٩) •

ويؤكد ذلك وجود يهود الآن فى بعض الدول الاسلامية يعيشون فيها آمنين • وعلى ذلك فان ما حدث من بغض أو كراهية لأهل الكتاب فى بعض فترات التاريخ الاسلامى فانه لم يكن اعمالا لتعاليم الاسلام وانما كان عادة ردا على عدوان وقع على المسلمين •

وحتى نستوفى الكلام على مبدأ حرية العقيدة نجد أنه
يلزم استيفاء للبحث أن نتكلم عن طائفتين من طوائف المجتمع
الاسلامى وهما :

- ١ - المنافقون •
- ٢ - المعارضة •

ثم بعد ذلك نتكلم عن الحقوق الثابتة للانسان بصفته
انسانا أو ما يطلق عليه فى اصطلاح علماء الشريعة
الحرمان •

الفصل السابع

المنافقون

والمنافقون يظهرون أنهم مسلمون على خلاف ما يبطنون وهم يتصفون بصفات ذميمة والتي من أظهرها : الكذب والخيانة والغدر ، وأنهم يقولون بالسنتهم : مالا تعتقده قلوبهم ، فضلا عن الخداع والمكر والاحتيايل والافساد فى الأرض ، قال الله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ①
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ② فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَهُمْ كَذَّابٌ أَلِيمٌ ③ يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ ④ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑤ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ⑥

(البقرة : ٨ - ١٢)

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « أربع من كن فيه : كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن : كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها : اذا أُوْتِمن : خان ، واذا حدث : كذب ، واذا عاهد : غدر ، واذا خاصم : فجر » فضلا عما جبلوا عليه : من الصد عن سبيل الله : عن طريق الإيمان الكاذبة ، قال الله تعالى :

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ
مُجْتَعَةً فَخَبَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢١﴾

(المنافقون : ٢ ، ٣)

[مضافة بتقرير مجمع البحوث الإسلامية السابق ذكره

ص ٩ ، ١٠] .

وهم بحكم أنهم من المجتمع وتربطهم بأفرادهم روابط
صلة قرابة ونسب وغيرها تمكنهم من الاختلاط بهم وبث
أفكارهم المسمومة بينهم للإيقاع بالبسطاء والسذج منهم ومن
ثم فهم شديدو الخطر ولذلك ألحقهم الله في كثير من الآيات
بالكفار ومن ذلك قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يُجْعِلُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَشَهَادَةً لِّهِمْ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِ وَهُوَ الَّذِي
أُخْصِمَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسَافِدَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ
فَتُجَنَّبُ عَنْهُ وَيُنْهَى عَنِ الْمَعَاصِ ﴿٢٤﴾

(البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦)

والمنافقون يدفعهم الى النفاق اما الحقد والانانية
والرغبة في النكايه في القائمين بالأمر في الدولة أو الرغبة
في التآمر مع الأعداء وابتغاء العزة والمنفعة العاجلة فهم :

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُسَيِّدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِّحُونَ ﴿٢٧﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا
كَمَا آمَنَ آبَاؤُكُمْ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

(البقرة : ١٠ - ١٣)

موقف الرسول من المنافقين :

كانت سياسة الرسول إزاء المنافقين تختلف تماما عن سياسته مع الكافرين وقد يرجع السبب في ذلك الى أن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون ولم يرد الرسول أن يأخذ الناس بالظن والتخمين لأن ذلك يفتح بابا من الشر والقاء التهم على الناس جزافا . وحيث يؤخذ الأبرياء بالريبة والشك يختلط الحابل بالنابل ويضيع الحق تحت أقدام الباطل ومن ثم كانت سياسة الرسول ﷺ أن يقفل هذا الباب من أبواب الشر ولا يفتحه أبدا فلئن يخطيء الحاكم في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة لذا نجد أن الرسول كان كثيرا ما يعرض عما يقع من المنافقين من أعمال .

وقد أوردت كتب السيرة كما أورد القرآن كثيرا من هذه الحوادث ومن أشهرها ما وقع من عبد الله بن أبي بن سلول وهو زعيم الخزرج وكان منافقا ومن أشهر ما نسب إليه أنه قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وقد غضب الرسول حين سمع ذلك وقال عمر بن الخطاب مر به عياد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله ﷺ فكيف اذا تحدث الناس ان مجمدا يقتل أصحابه - وجاء ابنه عبد الله الى الرسول وكان مسلما مخلصا في اسلامه وقال للرسول : يا رسول الله ان كنت أمرا بقتل أبي فأمرني فأنا أحمل اليك رأسه فقال الرسول : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا فلما رجعوا الى المدينة وقف الابن في طريق الأب وقال له والله لن تدخلها الا بإذن رسول الله ﷺ ولتعلمن اليوم من الأعز الأذل فجاء الى الرسول شاكيا فأرسل الرسول الى الابن أن خل عنه حتى دخل . وكان بعد ذلك اذا أحدث شيئا كان قومه هم الذين يماثلونه ويماثلونه عليه فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك : كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته حين قلت لي أقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته قال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى (السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٥٤ - ١٥٦) .

— وقد روى عن أسامة بن زيد أنه قال بعثنا رسول الله ﷺ سرية إلى الحرقات فنذروا بنا فهربوا فأدركنا رجلا فلما غشيناه قال لا إله إلا الله فضريناه حتى قتلناه فذكرته للنبي ﷺ فقال : من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ فقلت يا رسول الله إنما قالها مخافة السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا ؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة فمازال يقولها حتى وددت أني لم أسلم إلا يومئذ .

(أبو داود ومسلم) .

— وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى (متفق عليه) .

وفي رواية لمسلم من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله .

— وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : إن أناسا كانوا يؤخذون بالسوحي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة .

(البخاري) .

رأى الفقه :

جاء في كتاب الام للشافعي ان الأحكام تبني على الظاهر والله ولي الغيب ، من حكم بالازكان (أى فهم الشيء بالظن من غير أدلة مادية) جعل لنفسه ما حظر الله عليه ورسوله لأن الله سبحانه وتعالى إنما يتولى الثواب والعقاب على الغيب لأنه

لا يعلمه الا هو جل تناؤه ، وخلف العباد أن يأخذوا من العباد بالظاهر ، ولو كان لأحد أن يأخذ بباطن عليه دلاله ، كان ذلك لرسول الله ﷺ وما وصفت من هذا يدخل في جميع العلم . فان قال قائل ما الذى دل على ما وصفت من انه لا يحكم بالباطن قيل كتاب الله تبارك وتعالى ثم سنة رسول الله ﷺ وأمر الله تبارك وتعالى فى المنافقين فقد قال لنبيه : اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله (المنافقون : ١ ، ٢) فأقرهم رسول الله يتناكحون ويتوارثون ويقسم لهم (أى من الغنائم) اذا حضروا القسمة . ويحكم لهم بأحكام المسلمين وقد أخبر الله تعالى ذكره عن كفرهم وأخبر رسوله بأنهم اتخذوا أيمانهم جنة من القتل باظهار الايمان .

(الام ج ٢ ص ٤١) .

وقد رأى الشيخ أبو زهرة استنادا الى رأى الامام الشافعى وأخذا بمبدأ عدم التفتيش عن النوايا والعقاب عليها أن الاسلام عامل المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويخفون الكفر على أنهم مسلمون ولم يحاول الكشف عن قلوبهم وقد كان النبى يعرفهم واحدا واحدا وكذلك المسلمون وقد كانت منهم أعمال تفت فى عضد الجيوش الاسلامية فهم يشيطون عند الخروج ، ويرجفون بالهزيمة عندما تشتد المارك ، ولا يخرجون مع المسلمين فى قتال الا اذا كانوا على ثقة من النصر ، ولا يخرجون عند الشدة ، ولقد اشتد حال أولئك المنافقين حتى أن بعض كبار الصحابة حث النبى على قتلهم ومع ذلك امتنع النبى عن أن يمسه بأذى حتى لا يكون التنقيب عن القلوب سنة من بعده .

(الجريمة والعقوبة ص ٣٧٦ - ٣٧٧) .

الفصل الثامن

المعارضة

يبين الإسلام لكل ذي رأى يعتقد أن رأيه حق أن يفصح عن رأيه ويعلنه مادام لا يعارض نصاً قطعياً في الكتاب أو السنة . والفقهاء يجمعون على أن الفهم الانساني في الإسلام للنصوص غير القطعية لا يعتبر ديناً يلتزم وآراء الفقهاء حول فهمها تعتبر اجتهاداً فردياً يجوز مخالفته لكل من بلغ مرتبة الاجتهاد .

(الإسلام عقيدة وشريعة - الشيخ شلتوت ص ٣، ٤) .
ذلك لأن هناك اختلافاً في الفهم والرأى ، لأنه لا يمكن أن تتساوى عقول الناس وأفكارهم ، وتكون بمثابة واحدة ، لأن هذا لا سبيل إليه ، ولا مطمع فيه ، بل هو ضرب من المحال ، ثم ألم يكن هناك : اختلاف بين جهازة العلماء ، وأعلام الفقهاء ، وان كان هدف الجميع واحداً . . « ولكل وجهة أهو موليتها » البقرة : ١٤٨ . . فهذا النوع من الاختلاف لا يضر » . .

[فقرة مضافة بتقرير مجمع البحوث الإسلامية السابق ذكره ص ١٠]

وظيفة المفتى وشيخ الإسلام وظائف لا تضاف على شأغلها أى ميزة أو عصمة دينية ولا يستأثر شأغلها بفهم خاص أو ملزم فى تفسيره الكتاب والسنة ولا يرتبط بهما

حق تحليل أو تحريم فى الشريعة وائ منهما يتساوى فى فهمه مع أى من المسلمين الحائزين لأهلية النظر والبحث فى النصوص .

(المرجع السابق ص ٤٧٦ ، ٤٧٧) .

ويذكر الشيخ محمد عبده أن الخليفة عن المسلمين ليس بالمعصوم ولا مهبط الوحى ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة وهو لا يخصه الدين فى فهم الكتاب والعلم بالأحكام بمزيه ولا يرتفع الى منزلة خاصة ، بل هو وسائر طلاب العلم سواء انما يتفاضلون بصفاء العقل وكثرة الاصابة فى الحكم . «الاسلام والنصرانية ص ٦٣ - ٦٦» .

موقف الاسلام من المعارضة

واذا كان الاسلام قد دعا الى مجادلة الذين يختلفون معنا فى الدين بالحسنى فان ذلك يكون ألزم مع من يختلفون معنا فى الرأى وهذا الذى نقول يستفاد من الآتى :

١ - القرآن :

حكى الآيات من ١٥٢ ، ١٥٩ من سورة آل عمران وقائع غزوة أحد وما صاحبها من آراء اذ يقول الله تعالى :

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ
حَتَّى إِذَا فَتِلَهُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرَكُم
مَا يُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ تَرْصَدَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَاَكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾

فَبِمَا رَحْمَةٍ
مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٦﴾

ولقد قسمت هذه الآيات المسلمين الذين اشتركوا في
غزوة أحد الى ثلاث طوائف هي :

- ١ - طائفة أشارت بالخروج وثبت خطأ رأيهم .
- ٢ - طائفة عصت الرسول وغادروا أماكنهم أثناء المعركة
وتسببوا فيما لحق بالمسلمين من هزيمة بأحد .
- ٣ - طائفة كانت ترى عدم الخروج ولم يؤخذ برأيها وقد
أبدت تدمرها بقولها هل لنا من الأمر شيء .

ورغم هذه الآراء المختلفة والمتعارضة وما قالتها كل
طائفة وما رد به الله عليهم حسبما جاء في الآيات السابقة
فان الله يقول لرسوله تعقيبا عما قيل : فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الأمر . .

وبذلك أراد الله من رسوله ان يحتسب أصحاب الآراء
المختلفة ضمن جماعة المسلمين حتى تبقى وحدة المسلمين
قائمة لا ينال منها اختلاف في رأى أو فكر أو عمل .

٢ - السنة :

اعترض رجل على تقسيم النبي ﷺ لغنائم حنين وقال
للرسول اتق الله يا محمد إنها قسمة ما أريد بها وجه الله فقال
الرسول فمن يطع الله أن عصيته أيا مني أهل الأرض
ولا تأمنوني فاستأذن رجل من القوم في قتله فلم يأذن رسول
الله ﷺ .

(الجريمة والعقوبة - أبو زهرة - ص ١٦٦ - ١٦٧)

وقال رجل في حكم قضى به النبي ﷺ للزبير : ان كان
ابن عمك فغضب النبي .

(المرجع السابق ص ٣١٦) .

ولم ير النبي ﷺ أن يعاقب في الحاليتين حتى لا يكون
فعله سنة يقتدى بها من بعده .

٣ - من هدى الخلفاء الراشدين :

قال رجل لعمر بن الخطاب وهو يخطب والله لو رأينا
فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا فقال عمر : الحمد لله
الذي جعل في أمة محمد من يقوم عمر بالسيف اذا اعوج .

(نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم - الشيخ محمد
الخضري حسين ص ٨٣) .

- كان بين عمر بن الخطاب ورجل كلام فقال الرجل
لعمر : اتق الله يا أمير المؤمنين فقال رجل من القوم : أتقول
لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال دعه فليقلها لي نعم ما قال .
لا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نقبلها .

(سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٣٥) .

وعن ابن عباس (ر) قال : ان عيينه بن حصن استأذن على عمر بن الخطاب فلما دخل عليه قال له : هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال له الحر بن قيس وكان من النفر الذين يقربهم عمر : يا أمير المؤمنين ان الله قال لنبيه ﷺ : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وان هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها وكان وقافا عند كتاب الله تعالى (البخارى) .

— وحين اختلف على بن أبى طالب مع الخوارج اذ قالوا : لا حكم الا لله قال لهم : هادئا مطمئنا : كلمة حق يراد بها باطل نعم انه لا حكم الا لله — ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الا لله وأنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل فى امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ فيها الأجل ، ويبلغ فيها الفىء ، ويقا تل به العدو ، وتأمين به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر ويستراح من فاجر » .
(الجريمة والعقوبة ص ١٥٩ - ١٦٠) .

وروى عنه كذلك قوله : لا تقتلوا بعدى الخوارج فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصأبه . وأنه رضوان الله عليه ما عاقب على ابداء الرأى مادام الرأى ليس كفرا ولم يصاحب ابداء الرأى ما يعد جريمة بالفعل (المرجع السابق ص ١٦٤) وفى ذلك يقول للخوارج : لن نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولن نمنعكم الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا ، ولن نقاتلكم حتى تقتلونا .
(المرجع السابق ص ١٧٢) .

اختلاف الصحابة فى الرأى :

— اختلف الصديق أبو بكر رضى الله عنه مع سيدنا عمر فى كيفية توزيع الأعطيات . فكان الصديق يقسمها بين المسلمين بالسوية لأن فضائلهم حسابها عند الله ، أما هذه

الاعطيات فهي للمعاش ومن ثم فان التسوية فيها خير ، فلما صار الأمر الى عمر رضى الله عنه جعل أساس التقسيم منازل الناس من كتاب الله عز وجل وقسمهم من رسول الله ﷺ فالرجل وبلاؤه فى الاسلام ، والرجل وقدمه فى الاسلام ، والرجل وغناؤه فى الاسلام ، والرجل وحاجته وهكذا فضل عمر البعض على البعض .

(نظم الحكم فى الاسلام - د محمد يوسف موسى ص ٩١)
- اختلف عمر والصحابه فى قسمة الأرض التى فتحها الله على المسلمين أتكون للمحاربين الذين فتحوها وحدهم أم تترك لأهلها مع وضع الخراج عليها لينفق منها على المسلمين عامة طوال الأزمان .

- الطلاق بلفظ الثلاثة جعله عمر رضى الله عنه طلاقاً ثلاثاً حقا تبين به الزوجة بينونة كبرى فليس لزوجها أن يسترجعها حتى تتزوج غيره ويدخل بها ثم يطلقها على خلاف ما جرى به العمل فى خلافة أبى بكر وسنتين أو ثلاث سنوات من خلافة عمر رضى الله عنه .

(المدخل فى دراسة الفقه الاسلامى - د محمد يوسف موسى ص ٤٠ - ٤٤) .

اختلاف الفقهاء المجتهدين :

لقد أثر عن أصحاب المذاهب الفقهية قولهم علمنا هذا رأى فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه - ورأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب . وقول غير واحد من الأئمة الأربعة اذا صح الحديث فهو مذهبي وأضربوا بقولي عرض الحائط .

عصر الجمود الفكرى والتشريعى :

أدى تدهور الحالة السياسية والادارية فى البلاد الى تدهور تشريعى فتصدى للاقتناء من ليس أهلا له فتعددت

الفتاوى وتباينت وتبع هذا تعدد الأحكام فى الاقضية حتى كان القضاء يختلف فى الحادث الواحد فى البلد الواحد فتستحل دماء وأموال فى ناحية من نواحي المدينة ولا تستحل فى ناحية أخرى فلما فزع العلماء من ذلك حكموا فى أواخر القرن الرابع الهجرى بقفل باب الاجتهاد وتفيد المفتين والقضاء بأحكام الأئمة السابقين فعالجوا فوضى التشريع بالجمود التشريعى وكان على المقلد أن يعتقد صحة مذهبه والا لما صح تقليده وان يعتقد خطأ المخالف لمذهبه والا لما كان مذهبه صحيحا فى رأيه . حتى ان الكرخى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ . قال : كل آية أو حديث يخالف ما عليه أمامه فهو مؤول أو منسوخ .

(تاريخ التشريع الاسلامى - خلاف ص ٥٦ - والمدخل للفقهاء الاسلامى - المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣) .

يضاف الى ذلك : « أن الأمة الاسلامية : ظلت حية نامية : فترة طويلة من الزمن ، ثم طرأ عليها : الضعف والركود : يوم نادى بعض علمائها وفقهائها : بغلق ابواب الاجتهاد . والقياس والاستنباط ، وأهملوا قاعدتى : سد الذرائع ، والمصالح المرسلة . . يقول الامام ابن القيم مهاجما الفقهاء المتزمتين الجامدين . . جعلوا الشريعة قاصرة : لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على أنفسهم : طرقا صحيحة ، من طرق معرفة الحق والتنفيذ له ، وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم : أنها حق مطابق للواقع . » [فقرة مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق ذكره ص ١٠] .

لذلك حمل ابن تيمية وابن القيم على التقليد لتركه وفتح باب الاجتهاد وطالبا بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله ثم من بعدهما أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابى .

(المدخل للفقهاء الاسلامى - المرجع السابق ص ٦٧) .

وقد أدى هذا الجمود التشريعي الى أن التشريعات
الاسلامية أصبحت لا تفي بحاجة البلاد الأمر الذي أدى الى أن
تلجأ الدول الاسلامية الى تشريعات الدول الأجنبية تستعير
منها قوانينها فأخذت مصر تشريعاتها نقلا عن مجموعات
القوانين الفرنسية والسودان عن القوانين الانجليزية .
وكان ذلك سببا لظهور دعوات تطالب الآن بالعودة الى تطبيق
الشرعة الاسلامية وكان ذلك مصدرا لاضطرابات مازالت
تجتاح البلاد الأمر الذي كنا في غنى عنه لو لم نضطر سابقا
الى أخذ التشريعات من القوانين الأجنبية .

الفصل التاسع

الحرّمات

وهي الحقوق الثابتة للانسان بصفته انسانا أيا كان جنسه أو لونه أو دينه وقد درج القانونيون على اطلاق اصطلاح الحريات على تلك الحقوق وقد سبق أن بينا أن غير المسلمين لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين ويقول الرسول ﷺ : كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

(أخرجہ الستة الا النسائي) .

وفي حجة الوداع خطب الرسول ﷺ المسلمين وقد ضمن الرسول خطبته المبادئ الأساسية التي يجب على المسلمين التزامها في حياتهم ومما قاله : أيها الناس ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

(السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٤١) .

فجعل بذلك للدماء والأموال والأعراض قداسة وحرمة مثل قداسة الشهر الحرام ويوم عرفة والبلد الحرام ومن ثم فإن الاعتداء على هذه الحقوق وانتهاكها بأي شكل من الأشكال يعتبر حراما وممنوعا وموجبا لغضب الله .

يضاف الى ما ذكر : « أن الدين الاسلامي : قام على حماية حقوق الانسان ، وعلى عدم اهدار كرامته ، وتحقير

انسانيته ، وربط بين قلوب المسلمين باوثق رابطة فقرر :
 بأن المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ،
 ولا يحتقره ، وأن يحسب امرئ من الشر : أن يحتقر : أخاه
 المسلم ، وأن كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ،
 وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا ، وأن
 السخرية بالناس والاستهزاء بهم : يفضى الى القطيعة ،
 وتمزيق أواصر الألفة والاخاء ، ويفرس بذور العداوة
 والبغضاء . . . كما نهى الاسلام : عن لمز المؤمن أخاه : بذكر
 عيبه ، أو اشارة خبيثة تنطوى على الخط من شأنه ، كما
 نهى عن التنابز بالألقاب ، وأن يدعو المسلم أخاه بلقب
 يكرهه ، أو اسم يسوءه أو يخترع لأصحابه وزملائه أسماء
 قبيحة ، فان فى ذلك جرحا لشعورهم ، وتحقيرا لكرامتهم ،
 ومن حق المؤمن على أخيه : أن يدعو به بأحب الأسماء اليه ،
 لما فى ذلك من دواعى المحبة ، وتوثيق رابطة الألفة
 والاخاء . . . أما اذا دعا الانسان أخاه باسم يسوءه ، أو لقب
 يآلم منه ، فانه يكون نابزا له ، ويكون ذلك النبز بنص
 القرآن فسوقا . . . وفى خطبة الوداع : نادى رسول الله ﷺ
 بحفظ الأموال ، والأعراض ، والدماء ، فأنكر أشد الانكار ،
 وحذر من جريمة الاستيلاء على المال ، عن طريق الباطل ،
 بسرقة أو نصب ، أو احتيال ، أو غش ، أو تدليس أو احتكار ،
 كذلك نهى عن التعرض للأعراض بالسب والقذف ، والزنا
 والفاحشة ، وما يجر اليهما . . . كما نهى عن الايذاء البدنى :
 فى جميع صورته فقال : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم :
 عليكم حرام كحرمة يومكم هذا (أى يوم عرفة) فى شهركم
 هذا (أى ذى الحجة) فى بلدكم هذا (أى مكة) كما حرم
 الاسلام : الخمر ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ،
 وفرض العقوبات لئلا يفسد النفوس وردعها عن القبائح ،
 محافظة على الأرواح والأعراض والأموال وقد جعل الاسلام
 عقوبة من يفسدون فى الأرض من أشد العقوبات : روى
 البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه : « أن ناسا

من عكل وعرينة : قدموا على النبي ﷺ ، وتكلموا بالاسلام ، فاستوخموا المدينة ، فأمر لهم النبي ﷺ بزود من الابل وزاع ، وأمرهم أن يخرجوا فيشربوا من أبوالها والبانها فانطلقوا ، حتى اذا كانوا بناحية الحرة : كفروا بعد الاسلام ، وقتلوا الراعى « وفي رواية : « ومثلوا به » واستاقوا الزود من الابل ، فبلغ ذلك الرسول ﷺ ، فبعث في طلبهم ، فأوتوا ، فأمر بهم ، فسلموا أعينهم (أى كحلوها بمسامير الحديد المحماة) وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وتركوا حتى ماتوا « فنزل قول الله تعالى :

وَالْمَاجِرَ وَالَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَمُوتُوا أَوْ يُصَلُّوا أَوْ يَكْفُلُوا كَفْلًا لِّأَنفُسِهِمْ
مَنْ خَلَفَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ذَلِكَ لَمْ يَخِرْ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَخِرْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾

(المائدة : ٣٢)

وقد ذهب الجمهور : الى أن القتل فى الآية : للقاتل ، والصلب مع القتل لمن أخذ المال وقتل ، وقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى : لمن أخذ المال وأخاف ، والحبس والتعزير : اذا قبض عليهم : قبل أن يأخذوا مالا ، ويقتلوا نفسا : الى أن تظهر توبتهم فى الحبس ، أو يموتوا » .

[مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق ذكره

ص ١٠ - ١٢]

وهذه الحقوق التى يحرم الاعتداء عليها هى :

١ - تحريم الاعتداء على الحياة :

حرم الله الاعتداء على الحياة بأى شكل من الأشكال بما

فيها الجروح فقال تعالى :

قُلْ تَعَالَوْا
 أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُفْرٍ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
 وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِهْلَاقُ لَكُمْ لِمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ نَزَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْتُلُوا
 الْفُجُورَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
 ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾

(الأنعام : ١٥١)

وقال :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْتُلَ
 مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ
 مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ
 مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ
 فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَيَسْأَلْ
 شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٥٢﴾ وَمَنْ يَهْتُلْ
 مُؤْمِنًا مَّنْغِمًّا فَجَزَاءُ مِثْلِهِ بِخِلَافِهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنُوهُ
 وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٥٣﴾

(النساء : ٩٢ ، ٩٣)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ
 فِي الْقَتْلِ أَمْرٌ بِالْخَيْرِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ مَنْ عُفِيَ لَكَ مِنْ
 أُخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْعُرْفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ
 مِّنَ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْدَائِكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَكُلُوا وَشَابُوا لَيْسَ
 عَلَيْكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَّأُولَىٰ الْآلِبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾

(البقرة : ١٧٨ ، ١٧٩)

وَكُنَّا عَلَيْهِمْ
فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ
بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْخُرُوجَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

(المائدة : ٤٥)

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ
فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
فِي الْأَرْضِ لَسُفُورُونَ ﴿١٣١﴾

(المائدة : ٣٢)

وقال النبي ﷺ : لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم
يصب دما حراما (البخارى) •

أى فى سعة ورجاء رحمة ربه وان ارتكب الكبائر •
الكبائر •

وقال : من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها
ليوجد من مسيرة أربعين عاما •

(البخارى والترمذى) •

وبذلك حرم الله الاعتداء على الحياة سواء أكان هذا
الاعتداء عمدا أو خطأ وأوجب القصاص فى القتل العمد
والدية فى القتل الخطأ وأغلظ العقوبة اذا كان القتل عن
عمد فتوعد القاتل بغضب الله عليه وخلوده فى النار وسوى

بين جريمة قتل النفس والافساد في الأرض • واستبشاعا
لجريمة القتل جعل من قتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس
جميعا ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعا كما سوى في
تحريم القتل بين المسلم وغير المسلم •

وقد أخذ الاسلام بنظام القسامة :

حتى لا يضيع الدم هدرأ في الاسلام سواء أكان دم مسلم
أو غير مسلم أخذ الاسلام بنظام القسامة وهي أنه اذا حدثت
جريمة قتل ولم يعرف الفاعل لا تقيد الدعوى ضد مجهول
وتحفظ فانه لا يضيع دم هدرأ في الاسلام وانما يحلف خمسون
رجلا من أهل البلدة التي حدث فيها القتل كل منهم يحلف
أنه ما قتله ولا يعرف له قاتلا وهذه الأيمان لحملهم على
الادلاء باسم القاتل ان كانوا يعرفونه والا لزمتهم ديتة
وأساس الدية هنا هو اهمال أهل القرية في نجدة المجنى
عليه أو عدم ضربهم على أيدي المتهمين والتستر عليهم •

[الجريمة والعقوبة - الشيخ أبو زهرة - ص ١٩
مجلة ادارة قضايا الحكومة سنة ٢٢ عدد/٣ ص ٢٤ ، ٢٥]

تحميل بيت المال بالدية :

اذا وجد القتيل في نهر كبير أو في الصحراء أو البرارى
وجبت الدية في بيت مال المسلمين •

[مجلة ادارة قضايا الحكومة سنة ٢٢ عدد/٣ ص
٢٤ ، ٢٥] •

وفي جرائم غير المكلفين مثل القصر وناقصى وعديمى
الأهلية تجب الدية في أموالهم فان لم يكن لهم مال وجبت

الدية على عصيته فان لم يكن فيهم قادرون وجبت الدية على بيت المال .

[الجريمة والعقوبة المرجع السابق ص ١١٤ ، ١١٥]

٢ - تحريم السخرية والنبد والتجسس :

يقول الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخَرُوا قَوْمًا
مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تُنْسَبُوا إِلَى اللَّهِ عَسَىٰ أَن يَكُونَ
خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَكْفُرُوا بِالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا سَمُ
الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا
وَلَا يَغْنَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ قَوَّامٌ فَجِيمٌ ﴿١٢﴾

(الحجرات : ١١ ، ١٢)

ومن ذلك قول الرسول ﷺ :

- سباب المسلم فسوق وقتاله كفر .

(الشيخان والترمذي)

- من لعن مؤمنا فهو كقتله ومن رمى مؤمنا بكفر فهو

كقتله (رواه الخمسة) .

- لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر الا

ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك .

(الشيخان)

عقوبة نبد المسلم :

قال النبي ﷺ اذا قال الرجل للرجل يا يهودى فاضربوه
عشرين واذا قال يا مخنث فاضربوه عشرين •
(الترمذى)

ويقاس على ذلك نبد المسلم بالكفر أو بأى نبد يلحق به
أذى فى شرفه أو سمعته أو كرامته أو مركزه أو عمله •
[الدستور القرآنى - المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٤]
وقد عاقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه من تفق مسلما
(عمر بن الخطاب - ابن الجوزى ص ٩٦) •

٣ - حماية العرض :

قال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾
(النور : ١٩)

ولكى يحمى الاسلام الأعراض فرض لكل من الزنا
والقذف عقوبة رادعة فقال تعالى :

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ
بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشِدَّةُ
عَذَابِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

(النور : ٢)

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ
جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ قَهْدًا أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِقُونَ ﴿٢٤﴾

(النور : ٤)

٤ - حماية العقل :

وذلك بتحريم السكر فقال تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٩٢﴾

(المائدة : ٩٠ ، ٩١)

وقد وردت أحاديث كثيرة تفيد أن عقوبة شارب الخمر
هى الجلد .

٥ - حماية الدين :

أرسل الله الرسل الى الناس لدعوتهم الى عبادته وحده
لا شريك له وفرض عليهم الجهاد دفاعا عن الدين والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر لتصحيح مفاهيم الناس ومحاربة
البدع .

٦ - حماية المال :

ولكى يحمى الاسلام المال فرض عقوبة قطع يد السارق
فقال تعالى :

وَالسَّارِقُ
وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾

(المائدة : ٣٨)

٧ - جريمة الحراية :

قال تعالى :

لَا تَجْرُوا الْأَرْضَ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِنْ خَلْفٍ أَوْ يَنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

(المائدة : ٣٣)

وهذه الجريمة يطلق عليها الافساد فى الأرض وتستهدف
الاخلال بأمن الوطن والمواطن وترويع الناس بالاعتداء عليهم
وعلى أموالهم وقد جعل الجزاء عليها شديدا حتى يكون العقاب
زاجرا ورادعا لكل من تحدثه نفسه بالاخلال بأمن الناس
والاعتداء عليهم أو على أموالهم .

٨ - جرائم التعزير :

وهى جرائم يرى الاسلام العقاب عليها تعزيرا لتحقيقا
للأمن فى المجتمع وحماية له من الآفات الضارة .
(الجريمة والعقوبة ص ٢٤٦ ، ١١٩)

بعض الحقوق المتفرعة عن الحرمات السابقة :

بعض الحقوق والحريات تعتبر لازمة ومكملة للحرمات
السابقة وهى :

١ - حرمة المسكن :

لأن الاعتداء على المكان الذى يسكن فيه الانسان وقيم
به فيه اعتداء على الانسان ذاته وفى ذلك يقول الله تعالى :

يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى
أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا
فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَكْرَمُ لِلَّهِ
بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾

(النور : ٢٧ ، ٢٨)

وقال :

وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِمَّا أَتَى وَأُتِيَ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَقْرَأَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٨﴾

(البقرة : ١٨٩)

ويقول النبي ﷺ لو أن رجلا اطلع في بيت قوم بغير
اذنهم ففقتوا عينه فلا دية ولا قصاص :

وروى عن سهل بن سعد أن رجلا اطلع من ثقب في باب
بيت رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مذكرى يرمى بها رأسه
فقال له لو أعلم أنك تنظر لطلعت به في عينك إنما جعل
الاذن من أجل البصر .

(الجريمة والعقوبة ص ٢٢٣) .

٢ - حرية الانتقال :

تضمن القرآن كثيرا من الآيات التي تحث على السير
والسياحة في الأرض للعظة والاعتبار أو للسعي على المعاش
أو للهجرة فرارا من الظلم والاضطهاد :

فقال تعالى :

أَفَلَمْ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا
أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ
الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٦

(الحج : ٤٦)

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا
فِي مَنَازِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَلْيَسِّرْ إِلَيْهِ الشُّرُوبَ ١٥

(الملك : ١٥)

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ لِلَّيْلِ كَظُلُمٍ أَنفُسِهِمْ قَالُوا
فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ
اللَّهِ وَسِعَةً فَهُمْ لَجْرُوا فِيهَا فَاوْلِيكُمْ مَا وَلَّيْتُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٩٧

(النساء : ٩٧)

فحرية الانتقال داخل الدولة وخارجها مصبونة بحماية
الدولة .

[اشتراكية الاسلام د . السباعي ص ٣١٣] .

بعض المبادئ اللازمة للحفاظ على الحرمات السابقة :

١ - الأصل في الانسان البراءة :

وقد ذكر الشيخ أبو زهرة أنه أخذاً بمبدأ الاستصحاب
كدليل تثبت به الأحكام الشرعية فان البراءة الأصلية تكون
ثابتة حتى يقوم دليل مغير لهذه البراءة .

(المرجع السابق ص ٢٤٩) .

٢ - لا جريمة ولا عقوبة بغير نص :

يلزم أن يكون النص على تجريم فعل سابقا في صدوره على الواقعة المراد تجريمها. والعقاب عليها ويشير الى ذلك قوله تعالى :

مَنْ أَهْدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ۝١٥

(الاسراء : ١٥)

وقد ذكر الماوردي أن عمر بن الخطاب نهى الرجال أن يطوفوا مع النساء ، فرأى رجلا يصلى مع النساء فضربه بالدره فقال الرجل والله ان كنت أحسنت فقد ظلمتني وان كنت أسأت فما علمتني فقال عمر أما شهدت عزمتي ألا يطوف الرجال مع النساء فقال ما شهدت لك عزمة فألقى اليه الدره وقال له اقتص - (الأحكام السلطانية ص ٢٤٩) وذكر أبو يعلى فى بيان ما للمحتسب : أن له أن يمنع الناس من مواقف الريب ومظان التهم ، ويقدم الانكار ، ولا يعجل بالتأديب قبل الانذار .

(الأحكام السلطانية ص ٢٧٧) .

٣ - تحريم أخذ الناس بالشبهات :

فقد قال الرسول ﷺ ادأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام لان يخطيء فى العفو خير من أن يخطيء فى العقوبة . (الترمذى) وقال ان الأمير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم (أبو داود)

وهذه الأحاديث تدعو الى تلمس البراءة لا تلمس الادانة .

٤ - التعذيب فى الاسلام ليس وسيلة لاثبات الجرائم :

ذلك أن كل أنواع الاكراه المعتبرة تفسد الرضا أو بالأحرى تعدمه (الجريمة والعقوبة ص ٥١٤) ومن ثم فإن الاعتراف بارتكاب جريمة من الجرائم اذا ثبت انه تم بناء على تعذيب أى اكراه فانه يكون باطلا لأن الاكراه يفسد الرضا ويعدم الارادة فضلا عن أن الاكراه الذى يشوب الاعتراف يعتبر شبهة تدرأ الحد .

وقد تشدد الرسول فى الأخذ باعتراف المتهم ففى الاقرار بالزنا أعرض عن المقر وراجعته فى صحة اقراره فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه فقال له أهلك جنون ؟ قال لا ، ثم أمر فأقيم عليه الحد . كما روى أن رسول الله ﷺ أوتى بلص قد اعترف ولم يوجد معه متاع فقال ﷺ ما أخالك سرقته فقال بلى فأعادها رسول الله مرتين أو ثلاثا وتكرار الاقرار يفيد صدوره من مريد مختار قاصد لما يقول (المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٨) ومن هذا يبين مدى تشدد الاسلام فى اثبات الجرائم والعقاب عليها وانه لا يتصيد اعترافا قد يكون مشكوكا فى صحته أو الدافع اليه .

٥ - عدم جواز التجسس وتتبع العورات لاثبات الجرائم :

من المتفق عليه ألا يكون السبيل الى تحقيق الجرائم نشر التجسس بين أحاد الأمة فان الله سبحانه وتعالى يقول : ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا (الحجرات : ١٢) .

والنبي ﷺ يقول اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا وكونوا عباد الله اخوانا - فالجرائم التى يكون فيها اعتداء على الكافة وتعريض الدولة للخطر . وتكون العقوبة فيها حقا لله تعالى أو حقا من حقوق الكافة ولو تعزيرية يكون التجسس فيها غير جائز لأن مضرته أشد من مضرة الجريمة نفسها ، ولأن الجريمة المستورة التى يكون فيها

اعتداء شخصي مآلها الذبول من تلقاء نفسها اذ يقتلها جو
الظلام الخائق . والتجسس ذاته يؤدي الى ضرر خطير في الجماعة
اذ تضعف الثقة وينظر كل واحد الى أخيه كأنه رقيب عليه ،
ويفتح باب الكيد والكذب ويجب أن يلاحظ أن اخفاء المعاصي
لا يضر العامة بمقدار ما يضر التجسس ولقد قال النبي ﷺ
ان المعصية اذا أخفيت لم تضر الا صاحبها ولكن اذا ظهرت
ولم تنكر أضرت العامة (المرجع السابق ص ٣٠٨ ، ٣٠٩) .

٦ - مبدأ شخصية العقوبة :

ومقتضى هذا المبدأ ألا يعاقب شخص بجريرة غيره وألا
يؤخذ برىء بذنب ارتكبه أبوه أو أخوه وقد أشار الى ذلك
قوله تعالى في سورة يوسف :

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْدهُ إِذْ
أَظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾

(يوسف : ٧٩)

وذلك حين عرض اخوة يوسف على يوسف عليه السلام
أن يأخذ أحدهم مكان أخيهم الذي وجدت السقاية في رحله .
كما تقرر هذا المبدأ في قوله تعالى : « ولا تكسب كل نفس
الا عليها - ولا تزر وازرة وزر أخرى - وقال النبي ﷺ
لا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه - وقال لأبي
رمثة وابنه : انه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه - كما أن
العقول تمنع من أخذ الانسان بذنب غيره .

(الجريمة والعقوبة ص ٤٢٢) .

بعد أن بينا أن الاسلام لا يكره أحد على اعتناقه ويجعل
سبيل الدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة نجد لزاما علينا
أن نوضح ما اذا كان هناك تعارض بين ذلك وبين ركنين من
الأركان التي تقوم عليها الدعوة الى الله والى الاسلام وهما
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله .

الفصل العاشر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبيل الدعوة بين المسلمين لاصلاح ما اعوج من أمورهم وما فسد من سلوكهم وهو الطريق لنشر الفضائل ومحاربة البدع والردائل وهو من فروض الكفاية التي تجب على الأمة في مجموعها فاذا قام به البعض سقط عن الكل وفي ذلك يقول الله تعالى :

وَلَكُمْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾

(آل عمران : ١٠٤)

وزيادة في التوضيح يضاف : « ان أعظم شعائر الدين ، وأقوى دعائم الاسلام وأهم الواجبات على المؤمنين : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : فهما رسالة الأنبياء والمرسلين ، وشيمة الدعاة المخلصين ، وشعار الهداة والمرشدين ، وحلية العلماء العاملين ، والوعاظ النايهين ، وبهما قوام الأمر ، وصلاح الشأن ، في ظللها : يسود النظام ، ويستتب الأمن ، وباهمالهما تتعطل المصالح ، وتتعدي الحدود ، وتنتهك الحرمات ، ويخفى الحق ، ويظهر الباطل ، وتعم الفوضى ، وينتشر الفساد ، ويكثر الشر بين العباد .. »

والمعروف : اسم جامع لكل خير من طاعة واحسان وبر ،

وهو عبارة عن كل شيء أمر الله تعالى بفعله ، وأحب من عباد
القيام به . .

والمنكر : هو ما تنكره النفوس الأبية الكاملة ، في العقل
والسمو الروحي . . عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .
أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ،
ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله : أن يبعث عليكم عقابا
من عنده ثم لتدعنه ، فلا يستجيب لكم » رواه أحمد ، وعن
عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يأيها
الناس ان الله يقول لكم : مروا بالمعروف ، وانها عن المنكر ،
قبل أن تدعو ، فلا أستجيب لكم ، وتستنصروا ، فلا أنصركم »
رواه ابن ماجه ، وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم
يقدرن على أن يغيروا ، فلا يغيروا ، الا يوشك الله أن
يعمهم بعقابه » رواه أبو داود . . »

[مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق ذكره
ص ١٢] .

وقد فضلت الأمة الاسلامية على سائر الأمم بسبب قيامها
بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « كنتم خير أمة أخرجت
للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (آل عمران :
١١٠) .

كما وردت آيات كثيرة وأحاديث تحث كلها على الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومن هذه الآيات ما جعل الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر مقياسا للتفريق بين المؤمن
والمنافق ومن ذلك قوله تعالى :

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
(التوبة : ٧١)

الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ سَأَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ
فَتَسِيحُهُمْ إِنَّ الْمُتَّقِينَ هُمْ السَّائِقُونَ ﴿٦٧﴾

(التوبة : ٦٧)

وآيات أخرى جعلت التقصير في الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر سببا لغضب الله ومن ذلك قوله تعالى :

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى
لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ
فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾

(المائدة : ٧٨ ، ٧٩)

ويقول النبي ﷺ : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم
فلا يستجاب لهم •

[الاحياء للغزالي باب الأمر بالمعروف] •

وبعض الأحاديث تحذر من السكوت عن المنكر لأن أثره
يتعدى الى غير فاعلية ومن ذلك قول النبي ﷺ :

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا
على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها فكان
الذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ،
فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فان
تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم
نجوا ونجوا جميعا (البخارى) •

وفى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفية
القيام به يقول النبي ﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده

فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف
الايمان •

(مسلم والترمذى) •

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره باليد
ان أمكن يتنازع الفقه الاسلامى اتجاهان • أحدهما يرى
استخدام القوة فى ازالة البغى واقامة الحق والآخر يدعو الى
عدم استخدام القوة والمسالة والصبر فى أحداث التغيير واقامة
الحق وقد تم بحث الموضوع عند الكلام عن جواز عزل الحاكم
الذى تولى بغير الشورى أو اذا فقد أحد الشروط اللازمة
لتعيينه كشرط العدالة أو أن يصبح غير قادر على تحمل أعباء
منصبه أو عطل أحكام الشريعة •

١ - القائلون بجواز استخدام القوة فى الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر :

وهم الخوارج والمعتزلة والزيدية وكثير من المرجئة
ويستشهدون على مذهبهم بقوله تعالى :

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ (المائدة : ٢)

وقوله :

فَقَاتِلُوا إِلَىٰ نَبِيِّنَا إِلَىٰ أَهْلِ الْأَمْرِ لَا تَحْزَمُوا

(الحجرات : ٩)

وقوله :

لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

(البقرة : ١٢٤)

(الأشعرى - مقالات الاسلاميين ج ٢ ص ٤٥١) •

وعلى هذا رأى ابن حزم الذى أيد مذهبه بأحاديث منها
قوله ﷺ : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليؤمننكم

الله بعذاب من عنده - وقوله « من قتل دون ماله فهو شهيد والمقتول دون دينه شهيد والمقتول دون مظلمة شهيد » وقرر أن الأحاديث التي تدعو إلى المسالمة والصبر نسختها الأحاديث التي تدعو إلى الخروج وحمل السلاح ضد الخليفة إذا صار مستحقاً للعزل ويعتبر على هذا المذهب الصحابة الذين رأوا الخروج ومنهم على وعائشة وطلحة ومعاوية وعمرو بن العاص .

(الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ١٧١ ، ١٧٣) .

٢ - القائلون بعدم استخدام القوة :

وعلى رأس القائلين بذلك علماء السنة ولا سيما المتأخرين منهم وأصحاب المذاهب الفقهية والصحابة الذين امتنعوا عن القتال في عهد الفتنة بين علي ومعاوية ومنهم عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد والامتناع عن القتال هو الرأي الذي اختاره عثمان بن عفان رضي الله عنه بل انه نهى غيره أن يبدأ بقتال يؤدي إلى سفك دم من أجل الدفاع عنه .
(النظريات السياسية الإسلامية د . محمد ضياء الدين الريس ص ٣٥٢) .

والفريقان يتفقان على الآتي :

١ - إن الأمة الإسلامية عزيزة :

فهى لا ترضى ضيماً ولا تسكت على هوان ولا تقبل أن يسومها أحد ذلاً أو ظلماً فقد قال الله تعالى :

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ⑧

(المنافقون : ٨)

وقال النبي ﷺ : من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا (الطبراني) .

٢ - شروط الطاعة وحدودها :

يقول النبي ﷺ :

- السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية - فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (البخارى) .

- انما تجب الطاعة فى المعروف (البخارى) .
ويقول الله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ نَأْوِيًّا ﴿٥٩﴾

(النساء : ٥٨ ، ٥٩)

وفى تفسير ذلك يقول صاحب الكشاف ان الله لما أمر
الولاة بأداء الأمانة الى أهلها وأن يحكموا بالعدل أمر الناس
أن يطيعوهم وينزلوا على قضايهم - والمراد بأولى الأمر
أمراء الحق لأن أمراء الجور الله ورسوله بريان منهم
فلا يعطفون على الله ورسوله فى وجوب الطاعة لهم - وانما
يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما فى ايثار العدل
واختيار الحق والأمر بهما والنهى عن اضدادهما كالخلفاء
الراشدين ومن تبعهم باحسان (الكشاف ج ١ ص ٢٧٥) .

وذكر البيضاوى ان الله أمر الناس بطاعتهم بعد ما
أمرهم بالعدل تنبيها على وجوب طاعتهم ماداموا على الحق
(تفسير البيضاوى ص ١١٥) .

وفى بيعة النساء التى أخذها رسول الله ﷺ قال تعالى :
(ولا يعصينك فى معروف) وفى شرح الآية قال المفسر
أبو السعود : والتقيد بالمعروف مع أن الرسول ﷺ لا يأمر
الاب به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق
(هامش تفسير الرازى ج ٨ ص ١٩٣ فى تفسير الآية
١٢ من سورة الممتحنة) •

ومن ذلك قول الصديق أبو بكر : أطيعونى ما أطعت الله
فيكم فان عصيت فلا طاعة لى عليكم •
(ابن هشام - السيرة ج ٤ ص ٣٤١) •

وعلى ذلك لا خلاف بين أمة الاسلام جميعا على أنه
لا تجوز الطاعة الا فيما وافق الشرع وما قال أحد أبدا
أنه تجوز الطاعة فى معصية • وقد ذكر الامام الفزالى أن
طاعة الامام لا تجب على الخلق الا اذا دعاهم الى موافقة الشرع
(الرد على الباطنية ص ٨١) •

٣ - وجوب النصيح للحكام :

وهذا المبدأ مستمد من واجب الأمر بالمعروف والنهى
عن المنكر ومن مقتضاه دعوة الحاكم الى الخير وصدده عن الظلم
فيوعظ وينهى عن المنكر بكل الطرق الممكنة دون قتال وقد
تواردت الأخبار بما يفيد ذلك مثل قول الرسول ﷺ : أفضل
الجهاد كلمة عدل عند سلطان أو أمير جائر •
(أصحاب السنن) •

وقوله ﷺ : ان الله يرضى لكم ثلاثا : ••• وان تناصحوا
من ولاء أمركم (مسلم) •

كذلك قوله ﷺ : الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله ؟
قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (مسلم) •

وذهب ابن حزم الى القول : انه اذا وقع من الحاكم شئ من الجور وان قل يجب نصحه للعودة للحق فان اذعن فلا سبيل لخلعه وهو امام كما كان .

(الفصل فى الملل والنحل ج ٤ ص ١٧٥ ، ١٧٦) .

ويذكر الشيخ أبو زهرة ان وجوب النصيحة يستفاد من اشتراط الفقهاء وجوب الامتناع عن الفتنة والسعى فى عزل الحاكم بكل الطرق الممكنة بشرط ألا تؤدى الى فتنة .

(الجريمة والعقوبة ص ١٧٥) .

٤ - التبرز فى استخدام القوة :

حتى الذين يرون استخدام القوة فى احداث التغيير يتشددون فى ذلك الأمر الذى يقربهم كثيرا من الذين يرون عدم استخدام القوة ذلك ان الأمة لم تجن من الذين خرجوا من غير استعداد على الخلفاء الأمويين والعباسيين الا اراقة دماء عشرات الألوف من أبنائها وتفريق الكلمة وجلب المحن والكوارث فخرج سيدنا الحسين رضى الله عنه كان له من النتائج المؤلمة ما تزال أثارها عالقة بأنفسنا وقائمة حتى اليوم ذلك بأنه رضوان الله عليه خرج على يزيد بن معاوية على النحو المعروف فقتل هو وأصحابه فى واقعة (الحرة) وشتت أسرته الشريفة رضى الله عنهم جميعا ، ثم خرج سيدنا عبد الله بن الزبير عليه أيضا وما كان لذلك من أسوأ الآثار وما كان أغنانا جميعا عن هذه الخطوب والأرزاء .

[نظم الحكم فى الاسلام د . محمد يوسف موسى ص ٦٩ ، ٧٨] .

حتى أن المعتزلة وهم من الذين يرون استخدام القوة فى التغيير يشترطون أن تكون لهم قوة تمنعهم وتؤدى بهم الى النصر .

[مقالات الاسلاميين ص ٤٦٦] .

وهم لذلك يشترطون لاستخدام القوة الشروط الآتية :

- ١ - أن يوجد كفر ظاهر .
- ٢ - ألا يستطيع تغييره إلا بالقوة .
- ٣ - أن يكون للخارجين قوة ومنعة تؤدي بهم الى النصر .
وهو ما سنبينه فيما يلي :

١ - أن يوجد كفر ظاهر :

قال عبادة بن الصامت دعانا النبي ﷺ فبايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا والا ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان وقد روى الحديث بلفظ الا أن تروا معصية بواحا (البخارى) وبواحا أى ظاهرا .

وقد ذهب العلامة ابن حجر فى شرحه المعروف بصحيح البخارى الى أنه ليس لأحد أن يتصدى لنزع الولاية من الخليفة أو الامام الا اذا ارتكب الكفر الظاهر الذى لا يحتمل التأويل وفيما عدا المنازعة فى الولاية استظهر حمل الكفر على معنى المعصية كما جاء فى بعض الروايات أى فينازعه فيما عداها اذا رأى منه معصية أو اثما فينكر عليه ويتوصل الى تثبيت الحق بلا عنف .

ويذكر الامام النووى فى شرحه لصحيح مسلم أن معنى الحديث ألا تنازعوا ولاية الأمور ولايتهم ولا تعترضوا عليهم الا أن تروا منهم كفرا محققا ، فاذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم وقولوا الحق أينما كنتم . وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام وان كانوا فسقة ظالمين وسبب التحريم ما يترتب على ذلك من الفتنة واراقة الدماء ، وهذا ما عليه جمهور العلماء بل ادعى أبو بكر بن مجاهد فيه الاجماع وقد ردت دعوى الاجماع على هذا بقيام الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على

بنى أمية وبقيا جماعه عظيمه من التابعين والصدر الأول
مع ابن الأشعث على الحجاج *

ويعقب الدكتور محمد يوسف موسى على ذلك بقوله انه
يجب أن نلاحظ دقة الأمر وخطورته وأنه ليس لأحد أو لفريق
من الناس أن يحكم من نفسه أن الخليفة أو رئيس الدولة قد
عصى الله ورسوله في أمر من الأمور فيمتنع عن طاعته أو أنه
ارتكب ما يسمى كفرا بواحا فينازعه ويدعو للخروج عليه *

[نظم الحكم فى الاسلام ص ٧٠] *

٢ - ألا يستطيع التغيير بغير قوة :

وقد سبق أن تكلمنا عن وجوب النصيح للحاكم قبل
الالتجاء الى استخدام القوة لاحداث أى تغيير *

٣ - أن يكون للخارجين قوة ومنعه تؤدى بهم الى النصر :

وقد سبق أن بينا ان الأمة لم تجن من الذين خرجوا من
غير استعداد على الخلفاء الامويين والعباسيين الا اراقة دماء
عشرات الألوف من أبنائها وتفريق كلمتها *

ترجيح مذهب القائلين بعدم استخدام القوة :

١ - الفتن عمياء تضطرب فيها أمور المسلمين :

ويكون ما تؤدى اليه من مفسد أكثر مما تؤدى اليه
ولاية غير عادلة أولم تتولى الولاية بشورى المسلمين - فان فوضى
ساعة يرتكب فيها من المظالم مالا يرتكب فى استبداد سنين -
لذلك ذهب بعض التابعين الى ان الامام الذى يتولى أمر المسلمين
بغير العدل يسعى فى تغييره ولا يجوز الخروج عليه وقد اعتبر
الخارجون فى هذه الحالة بغاة لما يؤدى اليه خروجهم من فتن
وهو قول مذكور فى مذهب الحنفية *

[الجريمة والعقوبة ص ١٧٠] *

الآثار التي تركها خروج الحسين رضوان الله عليه :

يعلق المرحوم الشيخ محمد الخضرى على واقعة خروج الحسين رضى الله عنه على يزيد - ويوافقه على رأيه الدكتور محمد يوسف موسى - فيقول ان الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه الذى جر على الأمة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها الى يومنا هذا وقد أكثر الناس من الكتابة فى هذه الحادثة لا يريدون بذلك الا أن تشتعل النيران فى القلوب فيشتد تباعدها * وغاية الأمر أن الرجل طلب أمراً لم يتهياً له ولم يعد له عدته فحيل بينه وبين ما يشتهى وقتل دونه * *
وقد ذهب الجميع الى ربهم يحاسبهم على ما فعلوا والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة وهى أنه لا ينبغي لمن يريد عظام الأمور أن يسير اليها بغير عدتها الطبيعية فلا يرفع سيفه الا اذا كان معه من القوة ما يكفل له النجاح أو يقرب من ذلك *

[تاريخ الأمة الاسلامية ج ١ ص ٥١٧ - نظم الحكم فى الاسلام ص ٧٨ ، ٧٩] *

ولقد علق تقرير مجمع البحوث الاسلامية على رأى السابق بقوله :

« ولكشف القناع عن هذه الفرية أقول : ان الامام الحسين رضى الله عنه قد رسم الخطوط العريضة للمجد الإسلامى ، والتضحية بالروح : فى سبيل الحق والواجب ، والتسامى بالنفس المشرقة بعزة الاسلام : من الذل والاستكانة ، والرضوخ للظلم والظالمين * * وخرج الحسين رضى الله عنه : الى الكوفة ، بدعوة من أهلها ، لا طامعاً فى مال ولا متطلعاً الى جاء ، ولكن خرج ليقاوم الظلم والاستبداد ، ويقضى على البغى والفساد ويحقق العدالة والمساواة بين العباد * * نعم لقد خرج الحسين ، ليدافع عما رأى أنه الحق ، خرج ليستجيب لكتاب الله ، ولو دفع الحياة فى سبيل الحياة !؟ لقد هاله أن

يرى يزيد بن معاوية ، يجلس على عرش الخلافة ، وهو المستهتر الماجن ، والظالم المفتون ، وكل ذلك لا يتناسب وجلال الخلافة . بل لقد بلغ من ظلم يزيد أن بعث الى الحسين : من ينذره بمبايعته ، أو الرحلة من المدينة ، والأخذ بالقوة . . . وفى هذا الجو المضطرب : أرسل أهل الكوفة : الى الحسين رضى الله عنه : يطلبون منه أن يفد عليهم ، ليبايعوه بالخلافة ، وينصروه من هذا العدو الغاشم !! فلم يكن بد للشهيد الأعظم : من أن يقرر السفر الى العراق . . . وإذا فليطلق الحر الشهيد : الى مصرعه فى كربلاء ، طائرا الى لقاء ربه ، ليتربع مقعده فى صدارة الشهداء عند ملك مقتدر ، لأجل أن يضرب المتل الأعلى : فى البطولة الموروثة ، والثورة على البغي ، واحتقار الحياة الدنيا ، فسجل بدمه الزكى الطاهر : على ظهر البسيطة : أسطورة الخلود ، وكان استشهاد : هو الحياة فى أبرز مظاهرها ، وأجلى صورها

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ ﴿١٣٩﴾ فَجَاهِدْ بِمَاءِ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
لَمْ يَلْقَوْا مِنْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤٠﴾

(آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠)

لقد قام الحسين رضى الله عنه : فى أصحابه خطيبا ، قبل نشوب المعركة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « قد نزل بى ما ترون من الأمر ، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها فلم يبق منها الا صباية كصباية الاناء (أى بقية الماء فيه) عيش كالمرعى الوبيل (أى ثقیل ووخیم) ألا ترون الحق لا يعمل به . والباطل لا ينهى عنه ، ليرغب المؤمن فى لقاء الله ، فانى لا أرى الموت الا سعادة ، والحياة مع الظالمين : الا ذلا وندما » . . . اقتتل القوم أشد قتال ، ثم كان للحسين ما أراه : من الشهادة فى سبيل الله ، وبوأه الله فى جواره : أشرف مقعد ، فكان سيد الشهداء ، وسيد شباب أهل الجنة : فى الجنة . . .

فهل من الانصاف : أن يقال عن الامام الحسين رضى الله عنه : انه أخطأ خطأ عظيماً ، جر على الأمة : وبال الفرقة ، والاختلاف : الى يومنا هذا !!

[مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية ص ١٢، ١٣]

— ويهمننا أن تذكر تعليقا على ما سبق ذكره « أن الامام الحسين رضى الله عنه فى خروجه على يزيد كان مجتهدا له أجر اجتهاده وأجر استشهاده أيا كانت نتائج هذا الخروج وأنه ليس لأحد أيا كانت منزلته أن يحكم عليه فهو حاكم وليس محكوما وإذا كنا قد ذكرنا رأى عالمين جليلين من علماء الاسلام هما المرحومان الشيخ محمد الخضرى حسين والدكتور محمد يوسف موسى فان ذلك كان على سبيل الاستدلال لاستنكار ما يصاحب الخروج على الحاكم واستخدام القوة من قتل للأبرياء وفوضى وتخريب وترويع للآمنين . ذلك أن الفتن عمياء يقع فيها من المظالم فى يوم واحد ما لا يقع فى حكم حاكم غير عادل فى سنين ، ولم نرد بذلك التقليل أو الغض من قدر الحسين رضى الله عنه فى خروجه على يزيد أو من اعتباره الشهيد الأعظم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهو الذى قال عنه الرسول ﷺ وعن أخيه الحسن أنهما سيدا شباب أهل الجنة . (مسند الامام أحمد بن حنبل) .

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :
هذان أبناى الحسن والحسين اللهم فأحبهما وأحب من يحبهما .

٢ - النهى عن اثاره الفتن :

الأحاديث التى رويت عن رسول الله ﷺ والتى تنهى عن الخروج على الحاكم مادام يصلى وأن من رأى شيئا من أميره يكرهه فعليه بالصبر والنصح له فان من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية فان القصد من ذلك عدم اثاره الفتن لأن ضررها أكبر من نفعها وقد سبق أن ذكرنا تلك الأحاديث .

٣ - يحرص الاسلام على ألا يصاب مسلم في معركة ولو خطأ .
اذ يقول الله تعالى :

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدِينِ
مَعَكُمْ أَنْ يَبْلُغَ حِلَّةُ رُؤُوسِ رِجَالٍ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ
لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَضَيْبِكُمْ مِنْهُمْ فَعَرَّجُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ مِنْ يَسَاءٍ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

(الفتح : ٢٥)

ذلك أنه في السنة السادسة للهجرة توجه الرسول الى مكة للاعتمار وبرفقتة ألف وحسماته من المهاجرين والانصار يسوقون الهدى امامهم الا أن قريشا منعتهم من دخول مكة وانتهى الأمر بعقد صلح الحديبية الذي بمقتضاه وضعت الحرب أوزارها بين المسلمين وقريش عشر سنوات ومنع الرسول من دخول مكة هو ومن معه في ذلك العام على أن يعود في العام الذي يليه للاعتمار فيدخل مكة ويمكث فيها ثلاثة أيام وليس معه هو وأصحابه سلاح غير السيوف في القرباب والقوس كما نص فيه على ترك الحرية لمن يريد أن يدخل مع محمد أو قريش في عهد وعلى أن من جاء المسلمين من قريش يرده المسلمون الى قريش ومن جاء قريشا من المسلمين لا يلزمون برده وأثناء كتابة العهد اعترض سهيل بن عمرو - وكان ممثلاً لقريش - على كتابة باسم الله الرحمن الرحيم واقترح أن يكتب باسمك اللهم كما اعترض على أن يكتب في الصحيفة هذا ما صالح عليه محمد رسول الله وقال لو تعلم أنك رسول الله ما خالفناك وطلب أن يكتب بدلا منها محمد بن عبد الله فتوقف على بن أبي طالب عن الكتابة الا أن الرسول وافق سهيلا على ما اقترحه .

وقد غضب المسلمون واعتبروا أن هذا الصلح مجحف بحقوقهم حتى أن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ : أأست نبي الله حقا ؟ قال : بلى قال : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى قال : فلم نعط الدنيا في ديننا اذن ؟ قال انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى .

ورغم اعتبار كفار قريش معتدين لصددهم المسلمين عن المسجد الحرام والاعتماد ومنعهم الهدى أن يصل الى مكانه ليذبح ويوزع على الفقراء ورغم صلفهم وكبريائهم الكاذبة الا أن الله منع المسلمين من محاربتهم لأن بين ظهرانيهم رجلا ونساء من المسلمين الذين يخفون ايمانهم خوفا من المشركين ولا يعرفهم المسلمون بأعيانهم وحفاظا عليهم وحماية لهم ولأرواحهم منع الله المسلمين من محاربة المشركين خشية أن يصاب هؤلاء المسلمون فى الحرب فيصيب المسلمون من ذلك المعرة والاثم لاهلاكهم اخوانهم المسلمين .

[تفسير الصابونى ج ٣ ص ٢١٦ ، ٢١٦ - السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٦٥ - ١٧٤] .

وإذا كان الأمر كذلك حين كانت آثار الحروب لا تتعدى أطرافها المشتركين فى القتال فان اطلاق الرصاص الذى تتعدى آثاره الى أشخاص أبرياء ليس لهم فى العير أو النفير يكون حراما وغير جائز شرعا .

٤ - لا يجوز قتل من لم يشترك فى القتال :

فلا يجوز عند الجمهور قتل النساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزمن ما لم يشتركوا فى الحرب بقول أو فعل ففى السنن عنه ﷺ أنه مر على امرأة مقتولة فى بعض مغازيه قد وقف عليها الناس فقال : ما كانت هذه لتقاتل . وقال لأحدهم الحق خالدا فقل له : لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا . وفيها أيضا عنه ﷺ انه كان يقول : لا تقتلوا شيئا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة .

(السياسة الشرعية لابن تيميه ص ١٣٢ ، ١٣٣)
وترتيباً على ما تقدم لا يجوز أن تتجاوز آثار العنف
والقتل إلى الأشخاص المسلمين .

٥ - تحريم ترويع المسلمين :

يقول النبي ﷺ : لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً
(رواه أبو داود) .

وترويع المسلمين يكون بالاعتداء على أنفسهم أو أموالهم
وهو ظلم مؤذن بخراب العمران لأنه يجعل الناس يقعدون عن
السعي والاكتساب فيعم الكساد في الأسواق فيحجم الناس عن
العمل لفقدهم الشغور بالثقة فيتدهور العمران ويؤدي ذلك
إلى ضعف الدولة أو فنائها لذلك كانت الحضارات تقوم على
مدى ما تحققة الدولة من أمن وأمان وإلى ذلك أشار ابن
خلدون في مقدمته (ص ٣١٩) .

وتحقيق المجتمع الذي يسوده الأمن والأمان من النعم
التي من الله بها على عباده فقال تعالى :

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا
وَيَتَخَفُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبُطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾
(العنكبوت : ٦٧)

وقال :

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ
فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَّكُمْ النَّاسُ فَآتَوْكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

(الأنفال : ٢٦)

وقد وضع الاسلام من الأحكام ما يضمن تحقيق الأمن
والأمان في المجتمع ففرض على المسلمين إذا كان أحدهم يحمل

وقد جعل الاسلام قتال المسلم للمسلم كفرا فقال النبي ﷺ : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر (الترمذى) وقال : اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار . قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : لأنه كان حريصا على قتل صاحبه (رواه أحمد) .

كما سبق أن بينا عند الكلام على الحرمان تحريم الاسلام الاعتداء على الحياة بأى شكل من الأشكال واعطاء الحياة قداسة مثل قداسة الشهر الحرام والبلد الحرام ونحيل في ذلك الى ما سبق أن ذكرناه .

٦ - حرص الاسلام على ان يسود السلام بين المسلمين :

حتى يسود الأمن والأمان بين المسلمين استوجب الله إذا اعتدت فئة أو طائفة من طوائف المسلمين على أخرى أن يوجد من بين المسلمين من يحاول الإصلاح بينهما فان بغت احدهما الأخرى فيجب قتال الطائفة الباغية لردّها عن عدوانها حتى يعود الأمن الى المجتمع الاسلامي وفي ذلك ورد قوله تعالى :

وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا مِنْهُمَا وَإِن بَقِيَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَاتِلَا إِلَى
مُخْرَجِي حَيَاتِهِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاتَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ①

(الحجرات : ٩)

من جماع ما تقدم يبين مدى حرص الاسلام على تحقيق
السلام وتوفير الأمن والأمان في مجتمعه بين كل الناس أيا
كانت عقائدهم ومللهم ونحلهم وان الاخلال بذلك بما يؤدي
الى انتهاك الحرمات وازهاق الأرواح مخالف لمبادئ الاسلام
وحرام ديننا وشرعا •

الفصل الحادى عشر

الجهاد فى سبيل الله

والجهاد فى سبيل الله أى العمل على نصره دين الله واعلاء شأنه مأمور به فى قوله تعالى :

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

(الحج : ٧٨)

وقوله :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَجَرُّقِكُمْ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ تَوَنُّونَ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

(الصف : ١٠ ، ١١)

وقد استعمل القرآن تعبير الجهاد فى كثير من الآيات بمعنى العمل الحربى والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الله ومن ذلك قوله تعالى :

* إِنَّ اللَّهَ

أَشْرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي
بِأَيْتُمُوهَا وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

(التوبة : ١١١)

حتى أصبحت كلمة جهاد تدل عند اطلاقها على الأعمال الحربية والتضحية في سبيل الله بالنفس والمال .

والجهاد يندرج تحت عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من فروض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الكل والا أثم الجميع وهو واجب على المسلمين جميعا رجالا ونساء وشيوخا وفتيانا كل حسب قدرته واستطاعته ويُصبح الجهاد فرض عين اذا اعتدى على الاسلام أو المسلمين أو غزيت أرضهم .

ولتوضيح ذلك يضاف : ان القتال : الذي وضع الاسلام سياسته : ليس قتال الاستعباد والتعدي والظلم ، والتوسع في الملكية ، وسلب الحريات ، واستغلال موارد الشعوب وخيراتهم . بغير حق ، كما تفعل الدول الاستعمارية ، وانما هو قتال دفاعي لا هجومي ، مع عدم الاعتداء على غير المقاتلين ، قتال في سبيل الله ، لاعلاء كلمة الحق ، وانصاف الشعوب ، وردع الظالمين : الذين يبدعون بالعدوان على الأديان والأوطان . .

لقد كان وجوب القتال في سبيل الله : بداية جديدة في التاريخ الاسلامي ، بل مسئولية كبرى للمجاهد الأعظم : سيدنا محمد ﷺ ، ومن يجيئون بعده من الولاة الجاكمين : الذين يلون شأن هذه الأمة ، قال الله تعالى :

كُيِّبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾
(البقرة : ٢١٦)

ولهذا أمرنا الله تعالى : بالاستعداد والتأهب للدفاع : عن الدين والوطن ، واعداد الجيش : الذي يصلح للقتال ، ويكفي واجب الدفاع ، مع تزويده بأحدث أنواع الأسلحة ،

قال الله تعالى :

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ
مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَأَسْلِفُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ ﴿٦٠﴾

(الأنفال : ٦٠)

فالجيش : هو قلب الأمة النابض ، وعينها الساهرة ،
وجهها الذي تقايل به أعداءها ، ويدها التي تبطش بها ،
وهو عدة الوطن وسلاحه ، ودرعه وسياحه ، وقد فرض الله
تبارك وتعالى : علينا إعدادهم بكل ما نستطيع اعدادا فنيا
واداريا وأديبيا وماديا ، وقت السلم والحرب ، وبين لنا :
أن سبب الإعداد : هو ارهاب العدو الظاهر ، والعدو الخفي ،
ما نعلمه ، وما لا نعلمه ، فالاستعداد للقتال ، أمنع للقتال «
[مضافة بتقرير مجمع البحوث الإسلامية السابق ذكره
ص ١٤]

وقد سبق أن بينا ان الإسلام جاء معلنا دعوة التوحيد
وأنه خاتم الأديان وأن رسالته غير محدودة بزمان أو مكان
كما كلف الله الرسول تبليغ الاسلام كلف المسلمين بذلك ولكنه
جعل أساس الدعوة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ومن
ثم فلم يكن العمل العسكري الحربي وسيلة لاجبار الناس على
الاسلام وفيما يلي سنبين بعض خصائص الجهاد *

١ - الجهاد فريضة تتم في نطاق الدولة :

وفي ذلك يقول تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَكَانٍ

(الأنفال : ٦٥)

وقال تعالى :

فَأَمَّا الشَّاقِقَةُ فِي الْحَرْبِ
فَنَزِدْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا تَخَاؤُفُكَ مِنْ قَوْمٍ
خِيَانَةٍ فَأَنذِرْ لِّيَوْمٍ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾

(الأنفال : ٥٧ ، ٥٨)

وَلَنْ جَنَحُوا لِلسَّامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

(الأنفال : ٦١)

وقد كان الرسول هو الذى يستنصر الناس ويدعوهم
للجهاد ويقود الغزوات أو يعين لها القواد ويباشر شئون الحرب
والصلح وآيات القرآن تفيد ذلك المعنى وهو ما يتفق مع
القول بأن المسلمين يكونون دولة منظمة لها أهداف وغايات
تدعو إليها .

[الدستور القرآنى ج ١ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦]

والدول الحديثة هي التي تكون الجيوش وتدريبها
وتتمدها بأحدث المعدات العسكرية حتى يكون لها قوة تحافظ
بها على أمنها في الداخل والخارج وبغير تنظيم الجهاد عن
طريق الدولة يصبح المسلمون عصابات مسلحة لا غناء
ولا فائدة من ورائها وتصمم المسلمين بأنهم اراحيون .

٢ - الحرب في الاسلام ضرورة لرد العدوان :

لا يلجأ إليها الا اذا اعتدى على الاسلام والمسلمين . وعلى
بلادهم أو منع المسلمون من ابلاغ دعوتهم الى الناس وقد قال
تعالى :

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٩٠﴾

(البقرة : ١٩٠)

ومع ذلك فالاسلام لا يبغي الحرب ويحث على السلام
وفى ذلك يقول الله تعالى :

وَلَا يَجْعَلُ الْيَسَارَىٰ فَاجِحَةً لِّهَا وَيُؤَكِّلُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

((الأنفال : ٦١))

ويقول :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّفْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَيِّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَا إِلَيْنَا كُمْ أَسْلَمْنَا لَمَّا تَمُوتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عِزًّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَبَيِّنُوا لَنَا مَنَافِعَ اللَّهِ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ
فَنَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَبَيِّنُوا لَنَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

((النساء : ٩٤))

٣ - الجهاد ليس لاجبار أحد على الاسلام :

لم يكن الفتح الاسلامى فى أى عصر من العصور لاجبار
الناس على اعتناق الاسلام وانما لفتح المجال أمام الاعلام
الاسلامى لتبليغ الاسلام وشعار المسلمين فى ذلك الدعوة الى
الله بالحكمة والموعظة الحسنة . ويذكر ابن تيميه : اذا كان
الأصل فى القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون
الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هى العليا فمن منع هذا
قوتل باتفاق المسلمين وأما من لم يكن من أهل الممانعة
والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والزمن
فلا يقتل عند جمهور العلماء الا أن يقاتل بقوله أو فعله وان
كان بعضهم يرى اباحة قتل الجميع لكونهم مالا للمسلمين
والأول هو الصواب لأن القتال لمن قاتلنا اذا أردنا اظهار دين
الله كما قال الله تعالى :

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِمَا كُفَرْتُمْ بِهِ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

(البقرة : ١٩٠)

وفى السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه مر على امرأة مقتولة فى بعض
مغازيه وقد وقف عليها الناس فقال : ما كانت هذه لتقاتل
وقال لأحدهم الحق خالدا فقل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا
وفيهما أيضا أنه كان يقول لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا
صغيرا ولا امرأة وان الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج
اليه. فى اصلاح الخلق كما قال تعالى :

وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ

(البقرة : ١٩١)

أى ان القتل وان كان فيه شر وفساد فى فتنة الكفار
من الشر والفساد ما هو أشد فمن لم يمنع المسلمين من اقامة
الدين لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه •

[السياسة الشرعية ص ١٣٢ ، ١٣٣]

ومما يؤكد ان الإسلام لا يحارب الا المعتدين ما روى عن
بريده قوله : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سريه
أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم
قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا
ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا • واذا
لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال فأيتهن ما
أجابوك ، فاقبل منهم وكف عنهم • ثم ادعهم الى الاسلام فان
أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم • ثم ادعهم الى التحول من
دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم
ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا
فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم

الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الغنيمة والقيء
الا أن يجاهدوا مع المسلمين • فان أبوا فسنلهم الجزية فان
أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فان هم أبوا فاستعن بالله
وقاتلهم •

وتعبير إذا لقيت عدوك من المشركين يؤكد أن السرايا
والجيوش النبوية كانت تذهب لقتال أعداء وليس لقتال
الكفار إطلاقاً •

[الدستور القرآنى ج ١ هامش ص ٤٠٣]

ازالة شبهة :

قال النبى ﷺ :

— أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله
وأن محمدا عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماءهم
وأموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم •
(أصحاب السنن)

— أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن
قالها عصم منى ماله ونفسه الا بحقها وحسابه على الله •
(رواه الخمسة)

— أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فان
قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على
الله ثم قرأ انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر (رواه
التزمذى) وعجز الحديث يؤكد ان لا اكراه فى الدين •

ويرى الشيخ خلاف أن جميع المسلمين متفقون على أن
المراد من الناس فى هذا الحديث مشركو العرب خاصة لأن
غيرهم من أهل الكتاب ومشركى غير العرب حكمهم يخالف
ما جاء فى الحديث لأنهم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا
الجزية • واذا كان المراد من الناس مشركى العرب خاصة

وهؤلاء حالهم من العدوان على المسلمين والدعوة غير مبهولة
فالله أمر رسوله أن يقاتلهم حتى يدفع شرهم ، ولجمودهم على
ما وجدوا عليه آباءهم ولشدة طغيانهم لم يكن سبيل الى دفع
شرهم الا بأن يسلموا أو يستأصلوا ولو كان يرجى منهم خير
لأبيح معهم عقد الذمة وقبول الجزية . فالحديث فى طائفة
خاصة والقتال لدفع الشر لا للدعوة ولو كان للدعوة لكانوا
هم وغيرهم سواسية (السياسة الشرعية ص ٧٨) .

الاسلام لا يحارب الا المعتدين من أهل الكتاب :
اذ يقول الله تعالى :

اقْتُلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُعِزُّهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ
دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴿١٣﴾

(التوبة : ٢٩)

وقد صار التساؤل حول المقصود من الآية هل محاربة
أهل الكتاب حتى يؤمنوا بالاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون ؟

ويرى البعض أن حرف من فى الآية هو للتبعيض فالأمر
بالقتال لا ينصرف الى كل الكتابيين وإنما الى من بغى منهم
واعتدى ولم يخف الله واليوم الآخر واستحل ما حرمه الله
ورسوله ولم يقبل الحق الذى أمر به وآيات سورة التوبة التى
جاءت بعد ذلك تؤيد هذا المعنى وتدعمه ومن ذلك قوله تعالى :

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
بِقُوهِمْ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٤﴾

(التوبة : ٢٢)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كُنْتُمْ تَحِبُّونَ الْخَيْرَ وَالرَّهْبَانَ
يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْجُلِّ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
يَكْزُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾

(التوبة : ٣٤)

ثم بعد ذلك جاء استنفار المسلمين الى غزوة أجمع الرواه
انها غزوة تبوك على مشارف الشام فقال تعالى :

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا
وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ
كَذِبُونَ ﴿٢٧﴾

(التوبة : ٤٢)

وقد كانت القبائل التي تسكن تلك البلاد أكثرها من
النصارى وتخضع لسلطان الروم وتوجيهاتهم وأعدت العدة
لغزو المدينة كما اعتدت هذه القبائل على سابلة المسلمين
ورسلهم وبعثاتهم وعلى من أسلم منهم وقد سير الرسول الى
تلك البلاد سرايا وغزوات لرد هذا العدوان وقد روت
الأخبار أنباء تلك المعارك ومنها غزوة مؤتة التي هزم فيها
المسلمون . وفي السنة التاسعة من الهجرة قام الرسول بغزوة
تبوك التي أشارت اليها الآية وقبل وفاة الرسول جهز جيشا
أمر عليه أسامه بن زيد لكي يسير الى مؤتة لكي يؤدب أهلها
لما وقع منهم من الاعتداء على رسول الله ﷺ وللانتقام لما وقع
لجيش المسلمين في غزوة مؤتة بقيادة زيد بن حارثة .

— كما أن عمال الفرس في العراق الجنوبي كانوا قد مدوا
أصابعهم الى البحرين وحرصوا بعض أهلها من المسلمين على

الارتداد والتمرد على سلطان المسلمين . لذلك لم يكذب
أبو بكر يفرغ من حروب الردة حتى جهز الجيوش وسيرها
لمجاربة الفرس والروم. وكان ذلك ردا على اعتداءاتهم
على المسلمين .

[الدستور القرآني ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٥ - رسالة
القتال لابن تيميه ص ١٢٦ - وكتاب ابن تيميه ص ٣٨٢ ،
وكتاب العلاقات الدولية في الاسلام ص ٥٠ للأستاذ الشيخ
محمد أبو زهرة] .

ومن ثم يبين أن الاسلام لا يحارب الا المعتدين من أهل
الكتاب .

الفصل الثاني عشر

تحريم الاسلام للاغتيالات

عمل الرسول صلى الله عليه وسلم :

روت كتب السيرة القديمة بعض الوقائع التي تفيد أن النبي ﷺ كان يأمر باغتيال وقتل بعض أفراد من الكفار الذين كانوا شديدي الأذى للإسلام والمسلمين ومن ذلك :

١ - أمر النبي ﷺ محمد بن مسلمة باغتيال كعب بن الأشرف أحد طواغيت اليهود وشعرائهم لما كان من شدة هجائه وأذاه للنبي والمسلمين ، وقد استأذن محمد بن مسلمة النبي في مخادعته لشدة يقظته وتحصنه ، وذهب إليه مع رفاق له وخادعوه حتى قتلوه .

[السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢]

٢ - أمر النبي ﷺ باغتيال امرأة تدعى أم قرفة بوادي القرى كانت تهجو المسلمين في نياحتها وتتجسس عليهم .

[طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٤]

٣ - اغتيال أبي رافع أحد زعماء اليهود في خيبر لاجلابه على المسلمين وتحريضه قبائل غطفان عليهم .

(طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٣٥)

٤ - اغتيال أسير بن رازم الذى خلف أبا رافع فى زعامة
يهود خيبر وسار على نهجه من التحريض على المسلمين .
(المرجع السابق ص ١٣٥)

٥ - اغتيال ابن سنيينة اليهودى وكان تاجرا شديداً التضييق
على المسلمين .

[السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٢٦]

رأى الفقه فى جواز الاستعراض :

اختلف الفقهاء الذين قالوا بجواز استخدام القوة فى
جواز الاستعراض أو قتل الباغى غيلة فأجاز ذلك قوم من
الخوارج وقوم من غلاة الشيعة وبعض المعتزلة مثل عباد بن
سليمان [الأشعرى مقالات الاسلاميين ج ٢ ص ٤٦٥] .

أما باقى الفقهاء الذين يجيزون استخدام القوة وهم
الأغلبية فلا يجيزون الاستعراض .

وأما الفقهاء الذين لا يجيزون استخدام القوة وعلى
رأسهم علماء السنة ولا سيما المتأخرين منهم ومنهم أصحاب
المذاهب الفقهية والصحابة الذين امتنعوا عن القتال فى عهد
الفتنة بين على ومعاوية فهم بحكم مذهبهم الذى لا يجيز
استخدام القوة لا يجيزون الاستعراض .

وعلى ذلك فإن القائلين بجواز الاستعراض يكونون أقلية
رجال الفقه ومن ثم فرأىهم مرجوح .

عمل الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك هل يعتبر
سنة تتبع ؟

قبل أن نتعرض لذلك بالتفصيل يضاف هذا التوضيح :

« ان السنة تطلق فى اصطلاح رجال الحديث : على كل
ما أثر عن النبى ﷺ : من قول أو فعل أو تقرير أو سيرة أو

خلق أو شمائل ، أو أخبار أو صفات خلقية ، دون نظر : الى ما قد يثبت به حكم شرعى و مالا يثبت به حكم .

فالسنة النبوية : تعتبر بحق جامعة اسلامية : تزود كل مسلم بما يحتاج اليه فى أمور دينه ودنياه . . ولا شك فى ان التمسك بها ، والعمل بمقتضاها ، والسير على هداها : يعد : من وسائل النصر والظفر على الأعداء ، قال رسول الله ﷺ : « لازلت منصورين على أعدائكم : ما دمت متمسكين بسنتى ، فاذا خرجتم عن سنتى : سلط الله عليكم : من يخيفكم ، فلا ينزع خوفه من صدوركم ، حتى تعودوا لسنتى » - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين : لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » رواه الحاكم والبيهقى ومالك هذا : بالاضافة الى الوقوف : على كثير : من جوانب العظمة المحمدية ، التى يتأثر بها المسلم فى سلوكه ، وأخلاقه ، ومعاملاته ، وسائر تصرفاته ، لكى يفوز بعز الدنيا وسعادة الآخرة . .

[مضافة بتقرير مجمع البحوث الاسلامية السابق ذكره
ص ١٥]

— ثم نذكر أن علماء الأصول قد بينوا ما يعد من السنة تشريعا ومالا يعد كذلك وهو ما سنبينه تفصيلا فيما يلى : —

١ — ما يعد من السنة تشريعا :

هو ما صدر عن الرسول من أقوال بصفته رسولا وكان يقصد بها التشريع حسبما تدل على ذلك قرائن الأحوال كأن ينشئ حكما سكت عنه القرآن كتحرير الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها . أو أن يبين مجملا ورد فى القرآن أو يقيد مطلقا أو يخصص عاما ورد فيه لأن الله سبحانه منح رسوله حق البيان لنصوص القرآن بقوله عز شأنه ونزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) ومن هذه السنن التى فصلت اقامة

الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت لأن القرآن أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت ولم يفصل عدد ركعات الصلاة ولا مقادير الزكاة ولا مناسك الحج والسنة العملية والقولية هي التي فسرت هذا الاجمال وقد قال النبي ﷺ : صلوا كما رأيتموني أصلي (البخارى) *

[راجع كتاب علم أصول الفقه للشيخ عبدالوهاب خلاف ص ٢٨ ، ٢٩]

٢ - مالا يعد من السنة تشريعاً وهو :

١ - ما صدر عن الرسول من أقوال أو أفعال بمقتضى طبيعته الانسانية من قيام وقعود ومشى ونوم وأكل وشرب فليس تشريعاً ولكن اذا دل دليل على أن المقصود من ذلك الاقتداء كان قوله أو فعله تشريعاً بهذا الدليل *

٢ - ما صدر عنه ﷺ بمقتضى الخبرة والتجربة فى الشئون الدنيوية كالتجارة والزراعة وتنظيم الجيش وأمور الحرب أو وصف دواء لمريض ومن ذلك انه فى غزوة بدر أنزل الجيش منزلاً • رأى الحباب بن المنذر أن ذلك الموقع لا يتفق مع الأصول الحربية فقال له : أهذا منزل أنزلكه الله أم هو الرأى والحرب والمكيدة فقال النبي ﷺ بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال الصحابى ليس هذا بمنزل وأشار على النبي بانزال الجند فى مكان آخر مناسب لأسباب حربية بينها للنبي وقد وافقه النبي على رأيه *

٣ - أحكام صدرت عن النبي ﷺ وليس لأحد من أمته الاقتداء بها لأنها من خصائصه هو دون أمته ودل على ذلك دليل من الشرع مثل زواجه أكثر من أربعة والشرع يوجب الاقتصار على أربع زوجات وقبول شهادة خزيمة وحده فى حين أنه يلزم الاستشهاد بشاهدين *

[البند رقم ١ ، ٢ ، ٣ - كتاب علم أصول الفقه المرجع السابق ص ٣٢ ، ٣٣] *

٤ - ما صدر عن الرسول ﷺ باعتباره اماما ورئيسا لجماعة المسلمين كبعث الجيوش للقتال وقسمة الغنائم وعقد المعاهدات وتولية القضاء وصرف أموال بيت المال في جهاتها وجمعها من محالها والتدبير العام لمصالح الجماعة .

٥ - ما صدر عن الرسول ﷺ بوصف القضاء فانه كما كان رسولا يبلغ الأحكام عن ربه ورئيسا عاما للمسلمين ينظم شئونهم ويدبر سياستهم كان عليه الصلاة والسلام مع ذلك قاضيا يفصل في الدعاوى بالبينات أو الايمان أو النكول .

وحكم هذين الأمرين (أى ما جاء بالبندين ٤، ٥) أنه لا يعتبر تشريعا عاما فلا يجوز الاقدام على مثله الا باذن . فان كان أمرا صدر عن الرسول بصفة الرئاسة للمسلمين فيلزم اذن الامام (أو الحاكم) فى ذلك وليس لأحد أن يفعل شيئا منه من تلقاء نفسه بحجة أن النبى فعله أو طلبه . وان كان ما صدر عن الرسول ﷺ بوصفه قاضيا فلا يجوز لأحد أن يفعل شيئا مما فعل الرسول من تلقاء نفسه بل يلزم لكى يأخذ حقه أن يلجأ الى القضاء .

[الاسلام عقيدة وشريعة - الشيخ محمود شلتوت ص ٤٢٨ - ٤٣٠] .

وطبقا للقواعد السابقة لا يجوز لأحد أن يفتى باغتيال أحد :

- فما أمر به النبى ﷺ من اغتيال بعض الأفراد من الكفار كان قد صدر عن النبى والحرب مستعرة بينه وبين المشركين والكفار وكان هؤلاء الأفراد شديدي الأذى للمسلمين ويؤلبون عليهم الكفار ويستعدون عليهم القبايل ومنهم من كان يتجسس على المسلمين لحساب الكفار فهم ليسوا كفارا فحسب بل هم أعداء وليسوا تحت أيدي المسلمين حتى يحاكمهم النبى ويحكم عليهم بالجزاء الذى يستحقونه ومن ثم كان أمر النبى بقتلهم صادرا عنه بوصفه رئيسا عاما للمسلمين

وصادرا عنه لحماية المسلمين في حريهم مع الكفار فهو أمر اقتضته ضرورة الحرب بين المسلمين والكفار مع ملاحظة أنه قبل أن يهاجر الرسول والمسلمون من مكة الى المدينة وتكون لهم دولة فرغم التعدي الشديد الذي كان واقعا على المسلمين من الكفار وكانوا يأتون الى الرسول بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه مما هو واقع بهم فيقول لهم : اصبروا فاني لم أؤمر بقتالهم حتى هاجر فنزل قول الله تعالى :

أُذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِأَن يُذَكِّرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

سورة الحج الآية ٣٩

(الحج : ٣٩ - تفسير الصابوني المجلد الثاني ص ١٩٧)
ولم يأذن الرسول للمسلمين قبل ذلك بقتال المشركين أو باغتيال هؤلاء الذين كانوا يسيمونهم سوء العذاب لأنهم لو فعلوا ذلك لنكل بهم الكفار أشد تنكيل وكان ضرر ذلك على المسلمين أشد وأنكى من صبرهم على أذاهم فهم بين ظهرائهم وفي أيديهم يستطيعون أن يفعلوا بهم ما يشاءون في الوقت الذي يريدون ولما أذن الله للمسلمين بأن تكون لهم دولة أذن لهم في القتال وأجاز الرسول الاغتيال للأعداء الذين هم شديدي الأذى للمسلمين * وليس لأحد أن يقلد الرسول في ذلك لأنه قد صدر عنه بصفته حاكما ورئيسا للمسلمين *

— وإذا كان ما صدر عن النبي ﷺ كان من قبيل القضاء فليس لأحد من تلقاء نفسه أن يفعل مثل ما فعله الرسول أي أن يأمر أو يفتي باغتيال أحد أو أن يغتال أحدا لأنه رأى أنه أتى من الأفعال ما يستوجب ذلك بل يلزم أن يصدر — حكم من القضاء بذلك حتى لا تكون أمور المسلمين فوضى فيما بينهم *

— وإذا كان الاسلام يحرم قتل النفس وكان عمل الرسول لا ينطبق عليه أي من الوصفين السابقين فهو اذا من قبيل المسائل التي اختص بها النبي ﷺ ولا يجوز لأي فرد أن يفعل

مثل فعله ومثل ذلك ما جاء في القرآن في سورة الكهف من قتل الخضر عليه السلام للغلام فلا يجوز لأى فرد أن يقلده فيما فعل .

— بقى أن نذكر أن النبي ﷺ بالنسبة لغير المحاربين من الكفار والمشركين رفض فكرة القتل غيلة داخل المجتمع الاسلامى فعندما أشار عمر بن الخطاب على الرسول بأن يأمر عياد بن بشر بقتل عبد الله بن أبى بن سلول لقوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل رفض الرسول ذلك قائلاً له فكيف اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه .

(السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٥٤ - ١٥٦)

وعندما أهدر الرسول ﷺ دم عبد الله بن سعد بعد أن ارتد ثم جاءه مع عثمان بن عفان الذى استأمن له الرسول وبعد أن صمت الرسول طويلاً قال : نعم فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله لم حوله من أصحابه لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت الى يا رسول الله ؟ قال ان النبي لا يقتل بالاشارة .

[السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٥]

وعلى ذلك يكون الرسول قد رفض القتل غيلة وغدرا لغير الأعداء فى حالة الحرب وبإذن من ولى الأمر ، وأما القتل غيلة أو غدرا داخل مجتمع المسلمين فى غير حالة الحرب فغير جائز شرعاً ومن ثم فمن يرتكب شيئاً من ذلك فعلى ولى الأمر تقديمه للقضاء للحكم عليه بالجزاء الذى يستوجبه الجرم الذى ارتكبه سواء أكان مسلماً أو غير مسلم وهذا يتفق مع أن المسلمين يعيشون فى جماعة منظمة يحكمها القانون وحتى لا يترك الأمر فوضى وخاضعاً للأهواء والرغبات فيعيش الناس فى خوف ويفقد الانسان الأمل والأمان وهما من نعم الله التى أراد أن يكفلها له . والى ذلك يشير قوله تعالى :

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ
فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

(الأنفال ٢٦)

وقوله ﷺ لا يحل لمسلم أن يروع مسلما (أبو داود)
وهو ما سبق أن فصلناه عند الكلام عن الحرمات وعن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .

تم بحمد الله

تقرير
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

بقلم

الشيخ عبد المنصف محمد عبد الفتاح

عن كتاب : الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

تأليف

المستشار : اسماعيل حامد
نائب رئيس قضايا الدولة « سابقا »

وقد أضيفت الايضاحات التي تضمنها التقرير الى صلب
الكتاب ، وأشير الى ذلك في موضعه - ومرفق التقرير
للرجوع اليه .

التقرير

هذا الكتاب : يقع فى خمس وتسعين صفحة : من القطع الكبير : وهو يشتمل على اثنى عشر فصلا ، ورغم أن مؤلفه : قد بذل فيه : جهدا مشكورا ، الا أن لى فيه : بعض الملاحظات ، والاضافات ، أوردها فيما يأتى تباعا ، زيادة فى الوضوح .
جاء فى مقدمة الكتاب صفحة : ٣ ٠٠ جعل الله الأمن والأمان : من نعم الله على الانسان ، فقال تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا خَزَائِنَهُمْ
وَيَحْتَفِظُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾

(العنكبوت : ٦٧)

وقال تعالى لرسوله :

فِي مَرَجَةٍ
مِّنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَقَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا تَنْصُرُوا مِنْ حَوْلِكَ
فَأَعَفُّ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

(آل عمران : ١٥٩)

ولتوضيح ما ذكر أقول : ان من جليل نعم الله تعالى على عباده : فى هذا الوجود : نعمة الأمن : ففى ظلاله يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . وفى رحابه : ينصرفون الى شئونهم ومصالحهم : فى غير خوف ولا ذعر . وفى

اشتمال الأمن : تؤدي الأعمال ، وتحقق الآمال ، ويسود النظام ، وتسعد الأمة ، وتحلو الحياة ، ويهنأ العيش ، قال الله تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُسْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(الأنعام : ٨٢)

فالأمن ضرورى للانسان ، كضرورة الطعام والشراب والعافية للأبدان ، ولعظم شأن الأمن فى اسعاد العباد : من الله تعالى به وجعله عديلا للطعام : الذى تدفع به ثورة الجوع فقال تعالى :

الَّذِي أَطْمَهِمُ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

(قريش : ٤)

فالطعام وان كان غذاء للانسان ، فالأمن حصن للقلوب والأرواح : روى الترمذى عن أبى عبد الله ابن محسن الخطمى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها » . . . وقد جعل الله تعالى عقوبة من ينشرون الفزع بين الناس ، ويهددون أمنهم ، أو ينهبون أموالهم ، أو يسفكون دماءهم : من أقسى العقوبات : التى تنخلع لها القلوب ، وتطير من هولها الأفئدة ، فقال جل شأنه .

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

(المائدة : ٣٣)

وجاء في الفصل الاول : الدعوة الى الله : في الصفحتين :
 ٥ ، ٥ : الدعوة الى الله : هي دعوة الى توحيد الله : في داته
 وصفاته ، وعدم مشابهته للحوادث دعوة : الى تعظيم الله في
 الخلق والابداع وتصريف الأمور . . دعوة الى الايمان بالله
 وملائكته وكتبه ورسله ، والايمان بالقدر خيره وشره ،
 واليوم الآخر ، والبعث والحساب والجزاء . . دعوة الى عبادة
 الله لا شريك له . . دعوة الى محاربة الشرك والالحاد . .

وتوضيحا لذلك أقول : ان الدعوة الى الله تبارك وتعالى :
 هي حث الناس على الخير والهدى ، والرشد والاستقامة ،
 وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ليفوزوا بعز الدنيا ،
 وسعادة الآخرة . .

وموضوعها : هو الاسلام : الذي أوحى الله تعالى به : الى
 خاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد ﷺ : في القرآن الكريم ،
 والسنة النبوية الصحيحة . . والدعوة الى الله تعالى : أشرف
 غاية ، وأنبل مقصد ، وأقوم سبيل ، قال جل شأنه :

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
 مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَايُكُمُ
 بِرِئَاسِ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

(الأنعام : ١٥٣)

فهى رسالة الأنبياء والمرسلين ، وشيعة الدعاة المخلصين ،
 وشعار الهداة المرشدين ، وحلية العلماء العاملين ، والوعاظ
 النابهين . .

وهى واجبة على كل مسلم ومسلمة : فى كل عهد ، وفى
 كل زمن ، فكل عاقل بالغ : مكلف بها ، سواء أكان ذكرا ،
 أم أنثى . الكل مكلف بهذا الواجب ، قال الله تعالى :

قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي
أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

(يوسف : ١٠٨)

وجاء فى الصفحة : ٧ من هذا الفصل : ما نصه : الأمة
الاسلامية : مكلفة بتبليغ الاسلام ، باعتباره الدين الخاتم
والقيم ، وقد أشار الى ذلك قوله تعالى :

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ
أَوْفُوا الصَّكَّةَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَمَنِ يَكْفُرْ
بِعَاقِبَةِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

(آل عمران : ١٩)

وقوله جل شأنه :

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلْيُقْبَلْ
مِنْهُ وَهُوَ مِنَ الْآخِرِينَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

(آل عمران : ٨٥)

وأضيف الى ما ذكر : ان وظيفة الأمة الاسلامية : التى
أخرجها الله من أجلها : هى الدعوة الى المبادئ السامية ،
والقيم الدينية ، والمثل العليا ، والأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر ، مع التمسك بهذه المبادئ ، وتلك القيم ، قال الله تعالى :

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾

(آل عمران : ١١٠)

وقال جل شأنه :

وَلَا تَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنهَوْنَ
عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

(آل عمران : ١٠٤)

ان الله تبارك وتعالى : اختار للانسانية كلها : تعاليم
راشدة ، وشرائع عادلة ، ثم وكل الى العرب : أن يحملوا هذه
التعاليم والشرائع : التي تضمنتها رسالة الاسلام العالمية ،
ليعلموا بها ، وليعلموها غيرهم من الشعوب الأخرى : على
اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم ..

وذكر المؤلف : فى الفصل الثانى : سبيل الدعوة الى
الله : صفحة : ٩ : أن الاسلام جاء مفعرا مبدأ حرية العقيدة ،
وأنه لا اكراه فى الدين ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ،
وأنه قد جاءهم بالحق الواضح من ربهم : الذى فيه خيرهم
وسعادتهم فى الدنيا والآخرة :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَتَنَّمَا يُتَدَبَّرُ
لِنَفْسِكُمْ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

(يونس : ١٠٨)

وأضيف الى ما ذكر : أن الاسلام : دين الحجة والبرهان ،
دين يرى أن صحة العقيدة : انما تكون وليدة تفكير حر ،
وثمرة اقتناع تام ، دين لم يقم بحد السيف كما يزعم
أعداؤه ، فالاسلام : يميل الى المسالمة ، وأنه عدو للحرب
الا اذا اقتضتها الظروف القاهرة : كالمردوان ، فان جنح
العدو للسلم : وجب وقف القتال ، والجنوح للسلم ما لم يكن
ذلك خدعة ، قال تعالى :

* وَإِنْ جَفَوْهُ لَسَالٍ فَاَجْنَحْ لَهَا
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ
فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ مِنْ صَرْفِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

(الأنفال : ٦١ ، ٦٢)

ان الاسلام : لم يدع الى القتال : الا لرد عدوان على
المسلمين :

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَأَحْرَمْتُ قِصَاصٌ مِمَّنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ يَشُلْ مَا أَعْتَدَى
عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

(البقرة : ١٩٤)

أو عدوان على دين الله :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٧﴾

(البقرة : ١٩٣)

ومن هذا يتضح : ان رسول الله ﷺ : لم يمتشق السيف
ليفرض على الناس اتباعه بالقوة ، وتحت تأثير الاكراه ، من
غير اقتناع عقلي ، وتقبل وجداني ، انما كانت الضرورة :
هى التى تلجئه للدفاع عن الاسلام وأهله ، قال تعالى :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالصُّرَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

(البقرة : ٢٥٦)

وقال تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ الْمَنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

(يونس : ٩٩)

وبقاء أهل الكتاب فى العالم الاسلامى : على دينهم حتى
الآن : برهان قاطع لا يقبل الجدل : يثبت أن الاسلام : لم
يكره أحدا على اعتناقه بحد السيف . .

وذكر المؤلف فى الصفحة : ١٤ . . من الفصل الثانى :
أن الدعوة الى الاسلام : تكون بالحكمة والموعظة الحسنة . .
وأن هذا المبدأ : هو الذى ساد الدعوة الاسلامية ، منذ أن قام
بها الرسول والمسلمون الأوائل . . الى أن قال : وفى دعوة
الناس للاسلام : لم يكتف الله بتذكيرهم بفضله ونعمه عليهم ،
وتحذيرهم : مغبة كفرهم . . بل بين لهم تأليفا لقلوبهم : أنه
انما يريد بذلك : الخير لهم . .

وأضيف الى ذلك : بأن وظيفة الأمة الاسلامية : هى
الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وقد جعل الله تعالى هاتين
الصفتين من أبرز صفات المؤمنين ، فقال تعالى :

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

(التوبة : ٧١)

وللدعوة ثلاث مراتب : الأولى : دعوة الأمة الاسلامية
غيرها من الأمم والشعوب الأخرى : الى الاسلام : خاتم الرسالات

السمائية ، بحكم أنها حاملة لشريعة الله ، مؤتمنة على تبليغ هذه الرسالة ..

الثانية : دعوة المسلمين بعضهم بعضا : الى الخير : يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر دعوة عامة كلية : تتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات والفضائل وغيرها ..

الثالثة : دعوة المسلمين بعضهم بعضا : الى الخير يأمرهم بالمعروف ، وينهون عن المنكر دعوة جزئية : تتعلق بأحكام الشريعة الظاهرة : التي يعرفها المسلمون ، ويستوى في العلم بها : العلماء وغيرهم : كالحث على اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام بالنسبة للقادر المستطيع ، والتحذير من شرب الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين ، وايداء الجار وغير ذلك على أن تقوم الدعوة : على ثلاثة أسس وهى : (١) الحكمة . (٢) والموعظة الحسنة (٣) والقدوة الصالحة ..

وذكر المؤلف : فى الفصل الثالث : خضوع غير المسلمين لأحكام الشريعة الاسلامية : صفحة : ١٩ .. ان مما يثمتع به غير المسلمين من حقوق : يرجع فى أصله ، الى قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا فَضِيلًا ۝٧٠

(الاسراء : ٧٠)

وأضيف الى ذلك : بأن الاسلام ، وهو دين الانسانية بأسرها ، والحريص على خيرها واسعادها : قد شمل بظله الوارف .. أهل الذمة وغيرهم من المستأمنين ، وجعل لهم من الحقوق ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، قال تعالى :

لَا يَنْهَى عَنْهُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا آمَنُوا
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِّنْ دِينِهِمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

(المتحنة : ٨)

وذكر المؤلف : فى الصفحة : ٢٣ ٠٠ من الفصل
الثالث : ان الاسلام حرص على وحدة الصف داخل مجتمعه ،
فكان أول عمل : فعله الرسول ﷺ بعد هجرته الى المدينة : أن
أصلح بين الأوس والخزرج وأخى بين المهاجرين والأنصار ،
وعقد معاهدة بينه وبين يهود المدينة ، أقرهم فيها على دينهم ،
وأموالهم ، وألا يعتدى فريق على آخر ٠٠

وأضيف الى ذلك : ان من أقوى العوامل على تقدم الأمة
ونهبوضها ، وخير سبيل لعلو شأنها ورفع منارها ، وبلوغها
ذروة المجد والشرف : هو اتحاد القلوب ، وتضافر الجهود ،
وجمع الكلمة ، فبالاتحاد : تقوى الشوكة ، وتتم النعمة ،
وتؤمن الفوائىل ، ويكثر التواصل ، وتتعظم المحبة ، وتنال
المآرب ، لهذا كله حث الاسلام على الاتحاد ، ورغب فيه ،
لما يترتب عليه : من جليل المنافع ، وعظيم الفوائد ، قال
الله تعالى :

وَأَعِظُمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بَيْنَهُمْ إِخْوَانًا وَكَنتُمْ عَلَىٰ شِقَاكُم مَّرَكُوزَةً
مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

(آل عمران : ١٠٣)

ففى هذه الآية الكريمة : يأمرنا الله تعالى : بالاتحاد
والتضامن : تحت راية القرآن ، وأن نكون جميعا : كتلة

متماسكة ، وقلبا واحداً ، ويدها واحدة ، تسير على هديه ،
ونستضيء بضوئه ، بحيث لا نصدر : الا عن حكمة النفيسة ،
وتعاليمه السامية ، وارشاداته الحكيمة ، وتوجيهاته الرشيدة ،
وأن تكون دعاة اصلاح وسلام ، لا دعاة فرقة وانقسام . .
وقد أثر عن الامام الشيخ محمد عبده أنه قال : « اذا أحسست
من أمة : ميلا الى الوحدة ، فبشرها : بما أعد الله لها فى مكنون
غيبه من السيادة العليا . . فالاسلام : يأمر باتحاد كل قوم
تضمهم أرض ، وتظلمهم سماء ، وان اختلفت أديانهم ، وتباينت
نحلهم : على الخير والمصلحة العامة ، لا فرق فى ذلك بين مسلم
ومسيحى ، فحياة الوطن وارتقاؤه : لا تكون الا باتحاد كل
المقيمين فيه ، لأنهم فى أرض الوطن سواء ، وخيراته بينهم
بلا استثناء .

وذكر المؤلف : فى الفصل الرابع : الجزية . . الصفحة :
٢٩ . . ان الجزية مقابل الزكاة التى تفرض على المسلمين
بمقتضى الاسلام ، حتى يتساوى : أبناء الوطن الواحد ، فى
تحمل الأعباء العامة ، فهى مظهر للعدالة الاجتماعية . . وهى
أيضا مقابل : ما يتحمله المسلمون : من عبء الدفاع عن
البلاد المفتوحة . .

وتوضيحا لذلك أقول : ان من أبى الاسلام : من أهل
الكتاب ، وأراد أن يحتفظ بعقيدته ، فى ظل الحكم الاسلامى ،
فان ذلك له ، دون اكراه أو ضغط : على أن يدفع الجزية
مقابل حماية الاسلام له ، بحيث تسقط عنه ان عجز المسلمون
عن حمايته . .

وذكر المؤلف فى الفصل الخامس : الردة : الصفحة : ٣٢
. . المرتد : مسلم كفر بعد ايمان ويكون ذلك باعترافه دينا
غير الاسلام ، معلنا به ، أو انكاره ركنا من أركان الاسلام ،
أو فرضا من فروضه : التى تعلم من الدين بالضرورة .
ولتوضيح ذلك أقول : المرتد عن الاسلام : طائعا
مختارا ، تعرض عليه التوبة ، ويمهل ثلاثة أيام ، ليراجع

فيها نفسه : وتزال شبهته ، وتقام له خلالها : الأدلة والبراهين التي من شأنها : أن تعيد الاسلام الى قلبه ، وتذهب عنه وساوس الشيطان ، فان اقتنع ، وعاد الى الاسلام ، وتاب والى الله أناب ، قبلت توبته وسقط عنه الحد ، وان أصر على الردة ، وصمم على التمسك بما انتقل اليه : أقيم عليه حد الردة : وهو القتل ، ضربا بالسيف ، لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه : ان رسول الله ﷺ قال : « من بدل دينه فأقتلوه » رواه مسلم ، وفي رواية أخرى لابن عباس : « من خالف دينه : دين الاسلام ، فأضربوا عنقه » أخرجه البخاري ومسلم ، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرئ مسلم الا بإحدى ثلاث : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد احصان ، وقتل نفس بغير نفس » رواه مسلم .

والردة : تقع بالقول ، أو بالفعل ، أو بالاعتقاد ، فمن سب الله ، أو أحدا من رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، أو سجد لغير الله ، أو وضع القرآن الكريم : في القاذورات ، أو شكك في نضه ، أو فيما هو معلوم من الدين بالضرورة ، أو اعتقد حل ما حرم الله عز وجل : فهو مرتد حلال الدم . . وكذلك من يقوم بترويج أقوال الكفار والمشركين والملحدين : التي هي ضد الدين وتعاليمه ، معتقدا صحتها : فهو مرتد ، بخلاف ما لو حكاها وهو لا يعتقد صحتها ، بأن حكاها للاستشهاد : في الرد على خصوم الاسلام . .

والمرأة المرتدة : حكمها في ذلك : كالرجل عند جمهور الفقهاء ، لما روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه . أن النبي ﷺ ، لما أرسله الى اليمن ، قال له : أيما رجل ارتد عن الاسلام فادعه ، فان عاد ، والا فاضرب عنقه ، وأيما امرأة ارتدت عن الاسلام فادعها ، فان عادت ، والا فاضرب عنقها ؟ وعن جابر رضى الله عنه : « ان امرأة يقال لها « أم مروان » ارتدت ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، بأن يعرض عليها

الاسلام ، فان تابت والا قتلت ، فابت ان تسلم : فقتلت ،
أخرجه الدارقطني والبيهقي ، وروى أن أبا بكر رضى الله
عنه : استتاب امرأة يقال لها (أم قرفة) كفرت بعد اسلامها ،
فلم تتب : فقتلها » وذلك خلافا ، لما ذهب اليه أبو حنيفة
رضى الله عنه : أن المرأة ، اذا ارتدت : لا تقتل ولكن تحبس ،
وتخرج كل يوم ، فتستتاب ، ويعرض عليها الاسلام ، وتظل
هكذا حتى تعود الى الاسلام أو تموت !!

وهذه العقوبة بالنسبة للمرتد : تعتبر اجراء وقائيا ،
لكيلا يتخذ الدين مهزلة ، يدخل فيه الانسان متى شاء ، ثم
يخرج منه متى أراد ، استخفافا بالله وبرسوله وبالمجتمع
المسلم ، والمرد : لا يغسل ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في
مقابر المسلمين ، ويمنع من التصرف في ماله حال رده ،
وتقضى عنه ديونه ، وينفق عليه وعلى أولاده ، فان أسلم :
يرجع اليه ماله ، وان مات مرتدا : صار ماله فيئا فور موته .

وذكر المؤلف : في الفصل السادس : الصفحة : ٣٨ .
أن الاضطهاد الديني : انحراف عن الاسلام ، فالله تعالى يقول :

لَا يَنْفِكُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هُمْ يُحِبُّونَ مِنْ دِينِهِمْ أَنْ ذَكَرُوا اللَّهَ
فِي الْحَرْبِ وَالْحَمْدِ وَالْإِيمَانِ أَنْ يَكُونُوا
يُحِبُّونَ الْقِسْطَ ۖ (٨)

(المتحنة : ٨)

فهذه الآية : وضعت القاعدة : في معاملة الذين يختلفون
معنا في الدين ، فأمرت بالبر بهم وصلتهم ، والعدل معهم ،
طالما أنهم لم يناصروا المسلمين : العداء والقتال . .

وأضيف الى ذلك : بأن الاسلام : وصى بأهل الكتاب
خيرا ، فجعل لهم ما لنا وعليهم ما علينا . يستثنى من ذلك
الحربي ، قال الله تعالى :

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ قَتْلُكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَقُولُوا وَمَنْ يُؤْلَمُ
قَالُوا لَكُمْ مِنَ الظَّالِمِينَ ⑤

(الممتحنة : ٩)

وقال جل شأنه :

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْحُصْنُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحُصْنُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ
غَيْرِ مُسْفَحِينَ وَلَا يَتَّخِذْنَ أَعْدَاءَ ⑥ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ⑤

(المائدة : ٥)

وقال رسول الله ﷺ : « من أذى ذميا : كنت خصمه يوم
القيامة » وفي رواية أخرى : « من أذى ذميا : فقد أذاني ،
ومن أذى ذميا : كنت حجيجه يوم القيامة » .

وروى الطبراني عن أم مسلمة رضى الله عنها « أن رسول
الله ﷺ أوصى عند وفاته قال : الله .. الله .. في قبط مصر .
فانكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل
الله » . وروى الطبراني عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال :
« سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا فتحت مصر : فاستوصوا
بالقبط خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » يعنى بالذمة : العهد ،
وبالرحم : أن هاجر أم اسماعيل عليه السلام : كانت منهم »
وروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لما فتح
مدينة القدس : كتب للنصارى : أمانا على أنفسهم وأولادهم
ونسائهم ، وجميع كنائسهم : لا تهدم ولا تسكن ، وأنه جلس
في صحن كنيسة القيامة ، فلما حان وقت الصلاة : أشار

عليه البطريرك : أن يصلي في الكنيسة ، فامتنع عمر رضي الله عنه ، وخرج وصلى على الدرجة : التي على بابها بمفرده ، ثم جلس ، وقال للبطريرك : لو صليت داخل الكنيسة • لأخذها المسلمون من بعدى وقالوا : ها هنا صلي عمر ، وكتب كتابا يتضمن أنه لا يجتمع المسلمون بها للصلاة ، ولا يؤذنون عليها • • وأقرب الناس الى المسلمين : هم النصارى ، والله تعالى يقول :

• لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَرِيبِينَ
وَرَهْبَانًا أَنَّهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٨٢﴾

(المائدة : ٨٢)

لما سافر عمرو بن العاص الى الحبشة قبل إسلامه ، ليتأمر على المسلمين المهاجرين اليها : الذين قال لهم رسول الله ﷺ « لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا ، لا يظلم عنده أحد • وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم : فرجا مما أنتم فيه » فقال للنجاشي : اسألهم ماذا يقولون عن المسيح ؟ فقرأ عليه جعفر بن أبى طالب « سورة مريم » فبكى النجاشي ، وبكى معه الأساقفة ، وقالوا : « ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » • والتاريخ يحدثنا : أن اشتداد الازمة : يجمع دائما بين المسلمين والمسيحيين ، كما حدث فى ثورة ١٩١٩م ومعركة ١٩٥٦م ولم لا ؟ والكل يعيش فى وطن واحد هو « مصر » كنانة الله فى أرضه ، آمالهم واحدة ، وآلامهم واحدة ، وعدوهم واحد ، صديقهم واحد ، وكلهم أمام الدولة سواء ، فى الحقوق والواجبات • •

وفى الفصل السابع : المنافقون • • الصفحة : ٤٢ • •

ذكر أن المنافقين : أناس يظهرون أنهم مسلمون ، على خلاف ما يبطنون ، وهم يحكم أنهم من المجتمع ، وتربطهم بأفراده : صلة قرابة أو نسب أو غيرها : تمكنهم من الاختلاط بهم وبث أفكارهم المسمومة بينهم • •

وأضيف الى ما ذكره : بعض ما عرف به المنافقون من الصفات الذميمة ، والتي من أظهرها : الكذب والخيانة والغدر ، وأنهم يقولون بالسنتهم : ما لا تعتقده قلوبهم ، فضلا عن الخداع والمكر والاحتيايل والافساد فى الأرض ، قال الله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ①
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ② فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ③ يَمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ ④ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑤ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ⑥

(البقرة : ٨ - ١٢)

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « أربع من كن فيه : كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منها : كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها : اذا أوتع : خان ، واذا حدث : كذب ، واذا عاهد : غدر ، واذا خاصم : فجر » فضلا عما جبلوا عليه : من الصد عن سبيل الله : عن طريق الأيمان الكاذبة ، قال الله تعالى :

لَتُخَادُوا بِأَيْمَانِهِمْ

بِحِكْمَةٍ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑦ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ⑧

(المنافقون : ٢ - ٣)

وفى الفصل الثامن : المعارضة : الصفحة : ٤٧ - ٥٠
يقول المؤلف : ان الاسلام يبيح لكل ذى رأى : يعتقد أن رأيه

حق : أن يفصح عن رأيه ويعلنه ، مادام لا يعارض نصا قطعيا : فى الكتاب أو السنة ، والفقهاء مجمعون : على أن الفهم الانسانى فى الاسلام للنصوص غير القطعية : لا يعتبر ديناً ، وآراء الفقهاء حول فهمها : يعتبر اجتهادا فرديا يجوز مخالفته لكل من بلغ مرتبة الاجتهاد .

وأقول : هناك اختلاف فى الفهم والرأى ، وهل يمكن أن تتساوى عقول الناس وأفكارهم ، وتكون بمثابة واحدة ؟ أظن أن هذا لا سبيل اليه ، ولا مطمع فيه ، بل هو ضرب من المحال . ثم ألم يكن هناك اختلاف بين جهازة العلماء ، واعلام الفقهاء ، وان كان هدف الجميع واحدا . . « ولكل وجهة هو موليها » (البقرة : ١٤٨) . فهذا النوع من الاختلاف لا يضر . .

قال المؤلف مشيرا الى عصر الجمود الفكرى والتشريعى ، الصفحة : ٥٤ . . لقد أدى الجمود : الى تدهور الحالة السياسية والادارية : فى البلاد . . فتصدى للافتاء : من ليس أهلا له ، فتعددت الفتاوى وتباينت ، وتبع هذا : تعدد الأحكام فى الأقضية ، حتى كان القضاء : يختلف فى الحادث الواحد فى البلد الواحد . . الى أن قال : فلما فرغ العلماء من ذلك : حكموا فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، بقفل باب الاجتهاد ، وتقييد المفتين والقضاة : بأحكام الأئمة السابقين ، فعالجوا فوضى التشريع : بالجمود التشريعى . . وأضيف الى ذلك : بأن الأمة الاسلامية : ظلت حية نامية : فترة طويلة من الزمن ، ثم طرأ عليها : الضعف والركود : يوم نادى بعض علمائها وفقهائها : بغلق أبواب الاجتهاد والقياس والاستنباط ، وأهملوا قاعدتى : سد الذرائع والمصالح المرسلة . . يقول الامام ابن القيم مهاجما الفقهاء المتزمطين الجامدين : « جعلوا الشريعة قاصرة ، لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على أنفسهم : طرقا صحيحة ، من طرق معرفة الحق والتنفيذ له ، وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم : انها حق مطابق للواقع . »

وفي الفصل التاسع : الحرمات ٥٥ : الصفحة ٥٥ .
ذكر المؤلف عدة عناصر تتعلق بالحرمات ، وتحريم الاعتداء على الحياة ، وتحريم السخرية والتنايز بالألقاب والحث على حماية : العرض والعقل والدين ، وحماية المال ، والتحذير من جريمة الحراية ٥٥ .

وأضيف الى ما ذكر : أن الدين الاسلامي : قام على حماية حقوق الانسان ، وعلى عدم اهدار كرامته ، وتحقير انسانيته ، وربط بين قلوب المسلمين بأوثق رابطة فقر : بأن المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحتقره ، وأن يحسب امرئ من الشر : أن يحتقر أخاه المسلم ، وأن كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان : يشد بعضه بعضا ، وأن السخرية بالناس والاستهزاء بهم : يفضى الى القطيعة ، وتمزيق أواصر الألفة والاخاء ، ويغرس بذور العداوة والبغضاء ٥٥ . كما نهى الاسلام : عن لمز المؤمن أخاه : بذكر عيبه ، أو اشارة خبيثة تنطوى على الحط من شأنه ، كما نهى عن التنايز بالألقاب ، وأن يدعو المسلم أخاه بلقب يكرهه ، أو اسم يسوؤه أو يخترع لأصحابه وزملائه أسماء قبيحة ، فان في ذلك جرحا لشعورهم ، وتحقيرا لكرامتهم ، ومن حق المؤمن على أخيه : أن يدعو به بأحب الأسماء اليه ، لما في ذلك من داعي المحبة ، وتوثيق رابطة الألفة والاخاء ٥٥ . أما اذا دعا الانسان أخاه باسم يسوؤه ، أو لقب يألم منه ، فانه يكون نابزا له ، ويكون ذلك النبز بنص القرآن فسوقا ٥٥ . وفي خطبة الوداع : نادى رسول الله ﷺ : بحفظ الأموال ، والأعراض ، والدماء ، فأنكر أشد الانكار ، وحذر من جريمة الاستيلاء على المال : عن طريق الباطل ، بسرقة أو نصب ، أو احتيال ، أو غش ، أو تدليس أو احتكار ، كذلك نهى عن التعرض للأعراض بالسب والقذف ، والزنا والفاحشة ، وما يجر اليهما ٥٥ . كما نهى عن الايذاء البدني : في جميع صورته فقال : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم : عليكم

حرام كحرمة يومكم هذا (أى يوم عرفة) فى شهركم هذا
(أى ذى الحجة) فى بلدكم هذا (أى مكة) .

كما حرم الاسلام : الخمر ، وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات ، وفرض العقوبات لزجر النفوس وردعها عن
القبائح ، محافظة على الأرواح والأعراض والأموال .

وقد جعل الاسلام عقوبة من يفسدون فى الأرض من
أشد العقوبات : روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك
رضى الله عنهما : « أن ناسا من عكل وعرينة : قدموا على
النبي ﷺ ، وتكلموا بالاسلام ، فاستوخموا المدينة ، فأمر
لهم النبي ﷺ يزود من الابل وراعى ، وأمرهم أن يخرجوا
فيشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا ، حتى اذا كانوا بناحية
الحره : كفروا بعد الاسلام ، وقتلوا الراعى ؟ وفى رواية :
« ومثلوا به » واستاقوا الزود من الابل ، فبلغ ذلك الرسول
ﷺ ، فبعث فى طلبهم ، فأوتوا ، فأمر بهم ، فسلموا أعينهم
(أى كحلوها بمسامير الحديد المحماة) وقطعوا أيديهم
وأرجلهم من خلاف ، وتركوا حتى ماتوا » فنزل قول الله تعالى :

لَمَّا جَزَا الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾

(المائدة : ٣٣)

وقد ذهب الجمهور : الى أن القتل فى الآية : للقاتل ،
والصلب مع القتل ، لمن أخذ المال وقتل ، وقطع اليد اليمنى
والرجل اليسرى : لمن أخذ المال وأخاف ، والحبس والتعزير :
اذا قبض عليهم : قبل أن يأخذوا مالا ، ويقتلوا نفسا : الى
أن تظهر توبتهم فى الحبس ، أو يموتوا . .

وفي الفصل العاشر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :
الصفحة : ٦٦ ٠٠ قال المؤلف : هو سبيل الدعوة بين المسلمين ،
لاصلاح ما اعوج من امورهم ، وما فسد من سلوكهم وهو
الطريق لنشر الفضائل ، ومحاربة البدع والرزائل ، وهو من
فروض الكفاية وزيادة في التوضيح أقول : ان أعظم شعائر
الدين ، وأقوى دعائم الاسلام ، وأهم الواجبات على المؤمنين :
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : فهما رسالة الأنبياء
 والمرسلين ، وشيعة الدعوة المخلصين ، وشار الهداة المرشدين ،
وحلية العلماء العاملين ، والوعاظ النابهين ، وبهما قوام
الأمر ، وصلاح الشأن ، وفي ظللهما : يسود النظام ، ويستتب
الأمن ، وباهمالهما تتعطل المصالح ، وتتعدى الحدود ،
وتنتهك الحرمات ، ويخفى الحق ، ويظهر الباطل ، وتعم
الفوضى ، وينتشر الفساد ، ويكثر الشر بين العباد ٠٠

والمعروف : اسم جامع لكل خير من طاعة واحسان وبر ،
وهو عبارة عن كل شيء أمر الله تعالى بفعله ، وأحب من عباده
القيام به ٠٠

والمنكر : هو ما تنكره النفوس الأبية الكاملة : في العقل
والسمو الروحي ٠٠ عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه :
أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ،
ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله : أن يبعث عليكم عقابا
من عنده ثم لتدعنه ، فلا يستجيب لكم » رواه أحمد ، وعن
عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس
ان الله يقول لكم : مروا بالمعروف ، وانهاوا عن المنكر ، قبل
أن تدعوا ، فلا أستجيب لكم ، وتستنصروا فلا أنصركم » رواه
ابن ماجه ، وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ، ثم يقدر
على أن يغيروا ، فلا يغيروا ، الا يوشك الله أن يعمهم بعقابه
رواه أبو داود ٠٠

وقد ذكر المؤلف : فى الفصل العاشر أيضا : صفحة ٧٥ :
 ما نصه : ان الحسين أخطأ خطأ عظيما : فى خروجه : الذى
 جر على الأمة وبال فرقة والاختلاف ، وزعزع عماد ألفتها
 الى يومنا هذا !! وينسب هذا القول : الى المرحوم : الشيخ
 محمد الخضرى حسين ، والدكتور محمد يوسف موسى . . الى
 أن قال : « وغاية الأمر : أن الرجل طلب أمرا لم يتهيأ له ،
 ولم يعد له عدته ، فحيل بينه وبين ما يشتهى ، وقتل دونه !! »
 ولكشف القناع عن هذه الفريه أقول : ان الامام الحسين
 رضى الله عنه قد رسم الخطوط العريضة للمجد الاسلامى ،
 والتضحية بالروح : فى سبيل الحق والواجب ، والتسامى
 بالنفس المشرفة بعزة الاسلام : عن الذل والاستكانة ،
 والرضوخ للظلم والظالمين . .

خرج الحسين رضى الله عنه : الى الكوفة ، بدعوة من
 أهلها ، لا طامعا فى مال ولا متطلعا الى جاه ، ولكن خرج ،
 ليقاوم الظلم والاستبداد ، ويقضى على البنى والفساد ويحقق
 العدالة والمساواة بين العباد . . نعم لقد خرج الحسين ،
 ليدافع عما رأى أنه الحق ، خرج ليستجيب لكتاب الله ، ولو
 دفع الحياة فى سبيل الحياة ؟!

لقد هاله : أن يرى يزيد بن معاوية ، يجلس على عرش
 الخلافة ، وهو المستهتر الماجن ، والظالم المفتون ، وكل ذلك
 لا يتناسب وجلال الخلافة . . بل لقد بلغ من ظلم يزيد : أن
 بعث الى الحسين : من ينذره بمبايعته ، أو الرحلة من المدينة ،
 والأخذ بالقوة ، ،

وفى هذا الجو المضطرب : أرسل أهل الكوفة : الى الحسين
 رضى الله عنه : يطلبون منه أن يفد عليهم ، ليبايعوه بالخلافة ،
 وينصروه من هذا العدو الغاشم !! فلم يكن بد للشهيد
 الأعظم : من أن يقرر السفر الى العراق . . واذا فليطلق
 الحر الشهيد : الى مصرعه فى كربلاء ، طائرا الى لقاء ربه ،
 ليتربع مقعده فى صدارة الشهداء عند ملك مقتدر ، ولأجل

أن يضرب المثل الأول : في البطولة الموروثة ، والثورة على
البغي ، واحتقار الحياة الدنيا ، فسجل بدمه الزكي الطاهر :
على ظهر البسيطة : أسطورة الخلود ، وكان استشهاد : هو
الحياة في أبرز مظاهرها ، واجلى صورها « ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ،
فرحين بما آتاهم الله من فضله » (آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠)

لقد قام الحسين رضى الله عنه : في أصحابه خطيبا ،
قبل نشوب المعركة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « قد نزل
بى ما ترون من الأمر ، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر
معروفها ، فلم يبق منها الا صباية كصباية الاناء (أى بقية
الماء فيه) عيش كالمرعى الوبيل (أى ثقيل ووخيم) ألا ترون
الحق لا يعمل به • والباطل لا ينهى عنه ، ليرغب المؤمن فى
لقاء الله ، فانى لا أرى الموت الا سعادة ، والحياة مع الظالمين :
الا ذلا ونكما » • • اقتتل القوم أشد قتال ، ثم كان للحسين
ما آراد : من الشهادة فى سبيل الله ، وبوأه الله فى جواره :
أشرف مقعد ، فكان سيد الشهداء ، وسيد شباب أهل الجنة
فى الجنة • •

فهل من الانصاف : أن يقال عن الامام الحسين رضى الله
عنه : انه أخطأ خطأ عظيما ، جر على الأمة : وبال الفرقة ،
والاختلاف : الى يومنا هذا ؟!

وفى الفصل الحادى عشر : الجهاد فى سبيل الله • •
صفحة : ٨١ • ذكر المؤلف : أن الجهاد فى سبيل الله : أى
العمل على نصرته دينه ، واعلاء شأنه : مأمورية فى قوله تعالى :

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ

(الحج : ٧٨)

الى أن قال : والجهاد يندرج تحت عموم الأمر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر : وهو من فروض الكفاية ، اذا قام به

البعض : سقط عن الكل : وإلا أثم الجميع ، وهو واجب على المسلمين جميعا : رجالا ونساء ، وشيوخا وفتيانا كل حسب قدرته واستطاعته ٠٠ ويصبح الجهاد فرض عين : اذا اعتدى على الاسلام ، أو المسلمين ، أو غزيت أرضهم ٠٠

ولتوضيح ذلك أقول : ان القتال : الذى وضع الاسلام سياسته : ليس قتال الاستعباد والتعدى والظلم ، والتوسع فى الملكية ، وسلب الحريات ، واستغلال موارد الشعوب وخيراتهم بغير حق ، كما تفعل الدول الاستعمارية ، وانما هو قتال دفاعى لا هجومى ، مع عدم الاعتداء على غير المقاتلين ، قتال فى سبيل الله ، لاعلاء كلمة الحق ، وانصاف الشعوب ، وردع الظالمين : الذين يبدعون : بالعدوان على الأديان والأوطان ٠

لقد كان وجوب القتال فى سبيل الله : بداية عهد جديد : فى التاريخ الاسلامى ، بل مسئولية كبرى للمجاهد الأعظم : سيدنا محمد ﷺ ، ومن يجيئون بعده من الولاة الحاكمين : الذين يلون شأن هذه الأمة ، قال تعالى :

كَيْفَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ وَهُمْ كَذِبُونَ وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شَيْخًا وَمَوْجِعَ كَعْبٍ
وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شَيْخًا وَمَوْجِعَ كَعْبٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

(البقرة : ٢١٦)

ولهذا أمرنا الله تعالى : بالاستعداد والتأهب للدفاع : عن الدين والوطن ، واعداد الجيش : الذى يصلح للقتال ، ويكفى واجب الدفاع ، مع تزويده بأحدث أنواع الأسلحة ،

قال تعالى :

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ
مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَأَسْنِفُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

(الأنفال : ٦٠)

فالجيش : هو قلب الأمة النابض ، وعينها الساهرة ،
ووجهها الذي تقابل به أعداءها ، ويدها التي تبطش بها ،
وهو عدة الوطن وسلاحه ، ودرعه وسياحه ، وقد فرض الله
تبارك وتعالى : علينا اعداده بدل ما نستطيع ، اعدادا فنيا
واداريا وأديبا وماديا ، وقت السلم والحرب ، وبين لنا •
أن سبب الاعداد : هو ارباب العدو الظاهر ، والعدو الخفي ،
ما نعلمه ، وما لا نعلمه ، فالاستعداد للقتال : أمنع للقتال •

وذكر المؤلف : في الفصل الثاني عشر من كتابه :
تحريم الاسلام للاغتيالات ، الصفحة : ٩١ • ان ما صدر
عن الرسول : من أقوال ، أو أفعال ، بمقتضى طبيعته
الانسانية : من قيام وقعود ، ومشى ونوم ، وأكل وشرب :
فليس تشريعا ، ولكن اذا دل دليل على أن المقصود من ذلك :
الاقتداء : كان قوله أو فعله تشريعا بهذا الدليل • الى أن
قال : ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم : بمقتضى الخبرة والتجربة :
في الشؤون الدنيوية : كالتجارة والزراعة ، وتنظيم الجيش ،
وأمر الحرب أو وصف دواء لمريض ، فانه لا يعد من السنة
تشريعا • •

لتوضيح ذلك أقول : ان السنة تطلق في اصطلاح رجال
الحديث : على كل ما أثر عن النبي ﷺ : من قول أو فعل أو

تقرير أو سيرة أو خلق أو شمائل : أو أخبار أو صفات خلقية ، دون نظر : الى ما قد يثبت به حكم شرعى أو مالا يثبت به حكم شرعى *

فالسنة النبوية : تعتبر بحق جامعة اسلامية : تزود كل مسلم بما يحتاج اليه فى أمور دينه ودنياه * ولا شك فى أن التمسك بها والعمل بمقتضاها ، والسير على هداها : يعد : من وسائل النصر والظفر على الأعداء ، قال رسول الله ﷺ : « لازلت منصورين على أعدائكم : ما دمت متمسكين بسنتى ، فاذا خرجتم عن سنتى : سلط الله عليكم : من يخيفكم ، فلا ينزع خوفه من صدوركم ، حتى تعودوا لسنتى » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين : لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » رواه الحاكم والبيهقى ومالك * هذا : بالاضافة الى الوقوف : على كثير : من جوانب العظمة المحمدية : التى يتأثر بها المسلم فى سلوكه ، وأخلاقه ، ومعاملاته ، وسائر تصرفاته ، لكى يفوز بعز الدنيا وسعادة الآخرة * وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء - التقويم	٤
المقدمة	٩
الفصل الأول : الدعوة الى الله	١٣
تعريفها - موضوعها - حكمها	
١ - المقصود منها ٢ - دعوة جميع الرسول واحدة	
٣ - طبيعة الرسالة الاسلامية ، ٤ - مضمون الرسالة الاسلامية	
الفصل الثانى : سبيل الدعوة الى الله	٢٣
أولا - مبدأ حرية العقيدة ، ثانيا - الاسلام لا يكره احدا على اعتناقه ، ثالثا - سبيل الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة	
الفصل الثالث : خضوع غير المسلمين لأحكام الشريعة الاسلامية	٢٧
أولا : المصدر القانونى لحقوق غير المسلمين - حرص الاسلام على ١ - تحقيق العدل ، ٢ - تأليف القلوب للاسلام ، ٣ - وحدة الصف فى المجتمع	
ثانيا : مدى خضوع غير المسلمين لأحكام الشريعة الاسلامية	
الفصل الرابع : الجزية	٤٧
١ - الجزية مقابل الزكاة ، ٢ - مقابل تحمل عبء الدفاع ٣ - تشريع الجزية فى العصر الحالى ، ٤ - استمرار بقاء تشريع الجزية	
الفصل الخامس : الردة	٥١
- التحرز فى رمى المسلم بالكفر - حكم الذين يعارضون الحكم بما أنزل الله - رد شبهه - حكم مانعى الزكاة	
الفصل السادس : الاضطهاد الدينى انحراف عن تعاليم الاسلام	٦١
الفصل السابع : المنافقون	٦٧
موقف الرسول من المنافقين - رأى الفقه	

الموضوع	الصفحة
الفصل الثامن : المعارضة	٧٣
موقف الاسلام من المعارضة : - القرآن - السنة - من هدى الخلفاء الراشدين - اختلاف الفقهاء المجتهدين - عصر الجمود الفكرى والتشريعى	
الفصل التاسع : الحرمات	٨١
١ - تحريم الاعتداء على الحياة ، القسامة - تحمل بيت المال بالدية ، ٢ - تحريم السخرية والنبد والتجسس ٣ - حماية العرض ، ٤ - والعقل ، ٥ - والىدين ٦ - والمال ٧ - جريمة الحراية ، ٨ - جرائم التعزيز بعض الحقوق المتفرعة عن الحرمات السابقة :	
١ - حرمة السكن ٢ - حرية الانتقال بعض المبادئ اللازمة للمحفاظ على الحريات السابقة ١ - الأصل فى الانسان البراءة ، ٢ - لا جريمة ولا عقوبة بغير نص ، ٣ - تحريم أخذ الناس بالشبهات ، ٤ - تحريم التعذيب لاثبات الجرائم ، ٥ - عدم جواز التجسس لاثبات الجرائم ، ٦ - مبدأ شخصية العقوبة	
الفصل العاشر : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	٩٧
١ - جواز استخدام القوة ، ٢ - عدم جواز استخدام القوة شروط الطاعة - وجوب النصح للحكام - التحسرن فى استخدام القوة - ترجيح مذهب القائلين بعدم استخدام القوة	
الفصل الحادى عشر : الجهاد فى سبيل الله	١١٥
فريضة تتم فى نطاق الدولة - ضرورة لرد العدوان - ليس لاجبار أحد على الاسلام	
الفصل الثانى عشر : تحريم الاسلام للاغتيالات	١٢٥
عمل الرسول (ص) فى هذا الصدد - رأى الفقه فى جواز الاستعراض - لا يجوز لأحد أن يقتل بالاغتيال	
تقرير مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر	١٣٣

هذا الكتاب

يشجب الإرهاب والعنف في الدعوة إلى الله وإلى الإسلام فهو دين الله الذي يدعو إلى السلام والمحبة لكي يعيش الناس جميعاً على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم في ظلاله آمنين مطمئنين.

ويبين أن الإسلام لا يضطهد أحداً بسبب خلاف في الدين أو الرأي وأن الإنسان بصفته هذه له حقوق مصونة يحرم الاعتداء عليها أو انتهاكها في أي صورة أو تحت أي وصف.

ويبين أن الحرب ضرورة لا يلجأ إليها إلا لرد عدوان أو منع ظلم أو اعتداء على الحقوق والحريات فالأصل هو السلام.

كما يبين حدود استعمال القوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ورفض فكرة أن يكون الإغتيال والتصفية الجسدية هي الوسيلة لمن لا يتفقون معنا في دين أو رأي وأنه ليس لأحد أن يجعل من نفسه قاضياً ومنفذاً لحكم الإعدام في أحد.

فهو محاولة على الطريق لبيان ذلك.

ورجاء إلى الله أن يكون ذلك محققاً للغاية المرجوة منه وهي نبذ العنف في الدعوة إلى الإسلام ونشر السلام في العالم.

وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى.